21 متر مربع

رواية

لَـــذَّة

حسناء محمود

الكتـــــــــاب: ٢١ متر مربع: لذة
اسم المؤلفـــة: حسناء محمود
تصميم الغـلاف: ريهام البلتاجي
التدقيق اللغوي: عيد إبراهيم عبدالله
الطبعـــــــة: أبريل 2021
رقـم الإيـــداع: 7193 / 2021
الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 376 - 6
الموقـــــــع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
publishing@ibda3eg.com
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

العنوان: 10 ش هدى شعـــراوي، وســط البـــلد، القاهـــرة
هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173
البريد الإلكتروني: info@ibda3eg.com

dar__ibda3

ibda3-tp

dar__ibda3

21 متر مربع

رواية

لَـــذَّة

حسناء محمود

إهداء

إلى كل فتاة مُغتصبة الجسد والحق وقفت أمام المجتمع بمفردها

إهداء إلى صديقتي الراحلة " صفا "

أنتِ هُنا باقية بقلب صديقتك.

وصلت الشرطة للمكان بعد البلاغات المقدمة عن اختفائه ومراجعة هاتفه للتوصل لآخر مكان كان به، كان المكان مظلما والهواء شديدا في الصحراء يكاد يحملهم ويلقي بهم خارجها!

أمر الضابط المسئول بزيادة عدد أنوار السيارات عندما لاحت لهم سيارة أجرة ويبدو أنها المنشودة.

اقترب العساكر أولاً ليتفاجئوا من منظر الجثة المنتفخة والدماء الجافة التي سالت خارج السيارة والرائحة البشعة التي استقبلوها على بُعد أمتار!

هتف العسكري ليقترب الضابط وتجحظ عينيه من المشهد! سرى شق في منتصف الجثة ليقسم بطنه نصفين وتخرج أحشائه مع الانتفاخ، ومما زاد تعجبه أن فوق كل هذا كانت له أجزاء مقطعة فوق الجثة!

هتف الضابط بأن يتراجع الجميع ويتركوا كل شيء إلى أن يأتي فريق البحث الجنائي ليسجلوا ويرفعوا كل بصمات توجد في مسرح تلك الجريمة البشعة.

كل من جاء دخل في حالة صدمة من صعوبة الجريمة، وقف أحد

الضباط قائلا: غريبة القتل والتقطيع دا بدون سرقة! التاكسي موجود والفلوس في المحفظة كله زي ما هو..

قاطعه زميله: أكيد القتل بسبب انتقام واضح

تنهد الضابط ثم قال: انتقام بشع، يلا يا بني انجزوا خلينا نشوف المصيبة دي.

*****

وقفت في حيرة أمام خزانة ملابسها، ماذا ترتدي لهذا اليوم؟
نقاب؟ خمار؟ حجاب؟ أم تطلق لجدائلها العنان؟
ألقت نظرة من نافذتها لتشعر برطوبة الجو حتى في بداية دخول الليل!
إذا فالخيار لشعرها، ارتدت ملابسها وتركت شعرها منسدلاً كما هو، سحبت حقيبتها ونزلت لتوقف أول " تاكسي " أمامها، سألته على عنوان أحد " المولات " التجارية الشهيرة والبعيدة في الطريق الصحراوي، أجابها موافقًا، ركبت بجواره، نظراته المقززة تفحصتها من رأسها حتى حذائها، ابتسمت لنفسها وجلست.
دارت بعينيها في السيارة لتراه معلقا مرايات في كل شبر أمامها، ليلاحظ ويراقب كل تفصيله تصدر من جسدها، ارتاحت في جلستها أكثر وجلست تراقب العرض بتلذذ، وفي منتصف الطريق سحبت هاتفها وحدثت صديقتها بأنها لا تعرف أين هي أو المكان بالضبط ثم أشارت للسائق لتسأله " احنا قربنا ولا لسه؟ "
أجابها بهزة من رأسه لتخبر من تحدثه، أغلقت الهاتف ورأت لمعة عيناه بالصيد الثمين وأكد قراءتها له بعد ما قال "متقلقيش أنا هختصر من طرق جوا شوية عشان زحمة الطريق ونوصل أسرع "
ابتسمت له قائلة " تمام ياريت، يبقى أحسن "

- أهم حاجه متبقيش قلقانه انتي زي أختي يعني وربنا يجازي ولاد الحرام اللي ضيعوا سمعتنا.

- فعلاً معاك حق!

أكمل حديثه:

-أصل واحدة جميلة زيك كده الكلاب ينهشوا في لحمها الحلو دا

أطلقت ضحكاتها التي قصد سماعها فقال "اللهم صلي على النبي "

أكملوا الطريق في محادثة لم تخل من التحرشات اللفظية والجسدية التي لم يكن يقصدها بالطبع، فعجلة القيادة ضيقة ويده تخطئ طريقها أحيانًا!.

حتى وصلوا إلى منطقة صحراوية ليوقف سيارته وينظر لها والشهوة تكاد تنزل من عينيه نزول الدموع قائلاً:

ها يا جميل ايه رأيك ما تيجي؟

ابتسمت صمتت ثم ضحكت بشدة أمام نظراته المتسائلة وردت أخيرًا قائلة: أجي جدآ!

عاجلته بضربة في منتصف وجهه لتصيب أنفه وتنهمر الدماء، جلس مصدومًا قبل أن يسبها فعاجلته بضربة أخرى وبيدها سحبت السكين الموجود بحقيبتها والذي كان كبيرًا ليشهق في صدمة وقبل أن ينهيها تحشرج صوته نتيجة لذبح رقبته، سالت الدماء بسرعة ومالت رقبته فأكملت عليه بطعنة في منتصف بطنه لتنفجر الدماء في وجهها،

أخرجت قفازات من حقيبتها لترتديها ثم مزقت ملابسه و قطعت له عضوه لتحمله في يدها وتضعه على جثته تزين ما فعلته به!

خرجت من السيارة لتبدل ملابسها الغارقة بدمائه في هدوء ثم مشت في طريق معين حفظته عن ظهر قلب حتى وصلت لسيارتها التي كانت تنتظرها.

*****

جلست بجوار أختها تسامرها وتضاحكها حتى بداية الفيلم لتندمج كلتاهما مع بداية الأحداث، كانت تحب الأفلام الدرامية والقصص الحزينة، تتعايش مع أبطالها وتنفعل مع قصتهم وكأنهم شخصيات حقيقية أو كأنها هي البطلة وهذه قصة حياتها، وعند تصاعد الأحداث وتعقيد الحبكة خاصة بعد وفاه البطلة ونهاية الفيلم نهاية حزينة، جلست تبكي بشدة في أحضان أختها الضاحكة التي قالت

مالك يا شيرين دا فيلم بطلي نكد يا بنتي

من بين شهقاتها ردت شيرين: البطلة صعبانه عليا مكنتش تستحق الموت بالشكل دا.

ابتسمت شروق وشدت في احتضان أختها، للأسف كانت شيرين رقيقة تتأثر بمشاعرها بسرعة جدآ، شخصيتها تصنف للشخصية الاكتئابية لهذا السبب، ربتت عليها حتى هدأت وانسلت من بين يدها لتغلق "اللاب توب" وتنتقل كل واحدة منهما في فراشها، وقبل أن تغلق

عينيها رفعت رأسها نحو أختها قائلة: تصبحي على خير يا شروق!

-وانتي بخير يا حبيبتي

ساد الصمت قليلاً لتقطعه شيرين مرة أخرى: شروق أنا بحبك

ابتسمت شروق وأغمضت عيناها مفكرة، على الرغم من حساسية أختها تضايقها في أوقات كثيرة لكنها تبقى الأحن والمُحبة دومًا للآخرين حتى منها نفسها.

جاء الصباح واستيقظت شروق أولاً كعادتها، قامت بسرعة تجهز لجامعتها، ألقت نظرة على شيرين المستغرقة في النوم، اليوم إجازتها يجب ألا توقظها.

*****

تجهزت ثم نزلت في طريقها للجامعة، وقفت لتنتظر مواصلة تقلها كالمعتاد تأخرت عليها والآن مضطره لركوب سيارة " تاكسي "

المنطقة بعيدة ودائمًا ما تخاف من التاكسي بمفردها خاصةً بعد تحذير والديها لها ولكن لا شيء أمامها سوى ذلك لتلحق بمحاضراتها، وبمناسبة والديها عليها الاتصال بهم لتطمئن عليهم، سافروا ليومين فقط ولكنها تشعر أنهم عامين، أوقفت سيارة ركبت ثم أخبرته بوجهتها، تفحصها السائق كعادتهم حتى مع جلبابها الواسع وحجابها الشرعي الذي لا يظهر منها سوى وجهها ولكن في بلادها يتم التحرش بهن حتى لو كن چوال أسود متحرك، طالما مثبت أنها

في حساب النساء، زفرت بعصبية وقررت الاتصال بوالدها، أجابها مُرحبا " وردتي "

دائمًا ما يصفها هي وأختها بأعذب الكلام الورد والطيور لها ولشيرين ابنته الأولى دائمًا يقول لها " ست البنات "

- بابا حبيبي وحشتني

- أنا بس يا نصابة؟ ولا ماما حبيبتك

ضحكت شروق ثم قالت: انتوا الاثنين قد بعض، هتيجوا امتى بقى

- خلاص هانت، جدتك بقت أحسن الحمد لله هنرجع بكره إن شاء الله!

- مستنياك تيجوا بالسلامة

- شيرين فين؟ وانتي نزلتي جامعتك؟

- أنا نزلت متأخرة كالعادة وشيرين لسه نايمة

- برده ركبتي تاكسي؟!

- مضطرة

- خلي بالك من نفسك ولما توصلي عرفيني على طول كنت عايز أفضل معاكي على الخط لكن لازم أشوف جدتك.

هكذا كان والدها دائم القلق عليهم، دائم الشعور بالمسؤولية حتى بعد أن كبروا، تتضايق أحيانًا من خوفه الزائد لكن في داخلها يترك شعور جيد بالأمان والحنان الذي لم يحرمهم منها والدها أبدآ، لطالما

كان هو درع أمان هذه الأسرة حتى لأختها الكبيرة ووالدتها أيضًا، لو تمنت شيء من هذه الدنيا هو أن يدوم وجوده ووجودهم كلهم معًا وألا يسبقها أحدٍ من عائلتها نحو الموت.

أخيرًا وصلت إلى الجامعة وتخلصت من نظرات السائق التي تشعر أحيانًا أنها تجردها من ملابسها، آه لطالما تمنت أن يختفي كل هؤلاء الرجال الحقيرة من عالمهم لتعيش كل أنثى براحة وحرية!

*****

استيقظت لتنظر حولها، أختها بالجامعة بالطبع ووالديها عند جدتهم في بلدتهم وهي الآن وحيدة، كم تكره الجلوس بمفردها في بيتهم، تكره .. أو تخاف!

تحركت نحو باب البيت لتأكد علل غلقه جيدًا حتى يحميها من اللصوص الموجودين بخيالها فقط!

توجهت نحو المطبخ لتجهز فطورها، فتحت الثلاجة لتسحب أكلتها المفضلة " الجبن الرومي "

لكنها تفاجأت من أن شروق نسيت أن تقطعها لها شرائح كعادتها ستضطر لإستخدام السكين وهي تخاف منه جداً

على الرغم من أنها الكبيرة هُنا لكن في طفولتها استخدمت السكين وقطعت اصبعها بالخطأ وتم خياطته ومنذ يومها وهي تتجنب أي آله حادة!

وضعت قطعة الجبن وبأيدي مرتعشة حاولت تغطيتها وعندما اخطأ السكين طريقه في أول مرة قفزت صارخه تمتص أصابعها ولم تهدأ إلا بعد رؤيتها نظيفة خالية من الدماء

وبعد محاولات أخيرًا أنجزت المهمة وقطعت الجبن!

في كل مرة تقرر مواجهه خوفها تتراجع ويزداد وتفقد السيطرة دائمًا ما كانت تتمنى أن تكون في شجاعه أختها الصغيرة!

انتهت المحاضرة وبسرعة توجهوا نحو "الكافيتريا" ليتناولوا فطورهم في الجامعة كما تعودوا، شروق وصديقتها سالي، المتضادتين في رأي ونظرات من حولهم، شروق محجبة لبسها فضفاض أما عن سالي كانت بطبيعتها شعرها دائمًا منسدل على ظهرها أما ملابسها كانت العكس تمامًا من شروق، لكن هذا لم يصنع فارق بينهم، كانت أعز صديقة لشروق، حاولت الكثيرات ممن تبنوا الدفاع عن الدين والتنظير على خلقه بإبعاد شروق عن سالي بحجة أنها ناقصة دين ولا يجب مصاحبتها، وكأنها مريضة بشيء معدي من اللازم الإنفصال عنها، كانت شروق ترفضهم وتحاول إقناعهم بأن الجوهر هو من يفيد وأن المظهر يمكن تعديله مع الوقت لكن إذا فسد الجوهر فسد كل شيء!

لو تقربوا من سالي كانوا سيعرفون مدى قربها من الله بعقلها وقلبها وجهاد نفسها في كل شيء وأنها أبدا ما أصدرت أحكام على غيرها،

هذه ليست مشكلة تلك الفتيات فقط، هذه مشكلة مجتمع بأكمله يرفض كل أشكال وملابس المرأة لم تسلم النسوة أبدآ من التنظير والتنمر سواء كانت منتقبة محجبة أو غير محجبة، دائمًا ما يخرج قوم من هنا وقوم من هناك ليصنفوا ويضعوا تصويت للدخول إلى الجنة أو النار

ينصبون أنفسهم آلهة وهم في أنفسهم مرض كبير كِبر بصلاحهم على الرغم من تقلب القلب والدين وعدم ضمان الإنسان لنفسه ومعتقداته!

لا يتذكرون من الدين سوى المرأة وشؤونها وخصوصا ملابسها.

وفي النهاية سواء كانت هكذا أو هكذا سيتم التحرش بها بمبررات للموقفين!

خرجت شروق من تفكيرها الذي انساب بسبب نظرات من حولهم لهم وعلى الرغم من اعتيادها للأمر لكنها تتضايق جدا من أجل صديقتها التي بعكسها تتقبل كل هذا الهراء بصدر رحب و ضحكة رائعة.

- هيييي ايه يا بنتي سرحانه في ايه الأكل برد

- في إنك أحلى صاحبه في الدنيا

- اممم عايزه تاخدي ساندوتشي؟ مش هتنازل عنه لا

لكزتها شروق في ذراعها: بلاش رخامه

١.اصل الحب المفاجئ دا بيقلقني

كشر وجهها وقالت: أنا غلطانه إني عبرتك

ضحكت سالي واحتضنت صديقتها قائلة: وإنتي كمان تاني أحلى صاحبه في الدنيا

ضحكتا سويا ثم أنهوا طعامهم ليلحقوا بباقي محاضراتهم.

*****

جاء الليل، الميعاد اليومي لجلوسهم سويًا لمشاهدة الأفلام، جهزت شيرين طبق كبير من " الفشار " ثم جلست جنب أختها التي كانت أمام " اللاب توب " تختار فيلمًا، قالت شروق " هختار فيلم كوميدي بقى كفايه دراما وعياط خلينا نضحك "

ابتسمت شيرين قائلة: ماشي الليلة على ذوقك

رفعت قدميها على الفراش وشدت الغطاء عليها وأختها ثم جلست لي انتظار بداية العرض، كان الفيلم قيد التحميل فتحدثت شيرين فجأة " تعرفي بابا وماما وحشوني جدآ مفتقداهم "

إلتفتت نحوها شروق:- وأنا كمان، كلمت بابا انهارده وسأل عليكي مكلمتيهوش؟

- اتصلت بيه كان مشغول معرفتش أكلمه، هما هيرجعوا امتى بقى

- بكره إن شاء الله

- تيجي نتصل بيه؟

نظرت شروق نحو الساعة ثم قالت: لا أكيد نايمين دلوقتي الوقت متأخر، يلا الفيلم نزل

ساد الصمت واتسعت حدقة العين لاستقبال مشاهد الفيلم وبين حين وآخر تصدح ضحكاتهم سويًا، كان اختيار موفق من شروق ارتفع له معنوياتهم وبعد انتهاءه خلدن إلى النوم هانئين منتظرين لعودة والديهم.

وفي الصباح استيقظت شيرين أولاً هذه المرة، اليوم عودتها للدوام بينما العكس لشروق فاليوم راحتها من المحاضرات، تفقدت شيرين هاتفها لتجد رسالة من والدتها بأنهم في طريق العودة وأن يجهزوا أنفسهم سوف يتناولوا الغداء سويا بالخارج، فرحت شيرين اليوم سيكون عائليًا من الدرجة الأولى، لكم اشتاقت لهم.

بدلت ملابسها واستعدت للنزول و قبل أن تغادر تركت رسالة لأختها النائمة تخبرها ألا تصنع غداء اليوم كما أخبرتها والدتها.

نزلت إلى الشارع اهتزت خصلات شعرها من الهواء المفاجئ و ارتعش جسدها من البرد، كم تكره الشتاء وأيامه، عادت إلى المنزل بسرعة سحبت شال من أختها التي ترتديه كحجاب ولفته حول نفسها ضاحكة لو علمت شروق بسرقتها ستقتلها فهي تكره أن يرتدي أحد ملابسها، توجهت نحو عملها وانغمست فيه كعادتها لم تشعر بالوقت أو بما حولها سوى بإتصال أختها بها، تركت ما بيدها وأمسكت بهاتفها

لترد عليها، جاءها سؤال منها فورًا:- بابا أو ماما حد فيهم كلمك؟

- لا الصبح بس لقيت رسالة

- أنا قلقانه يا شيرين بقينا المغرب وانتي بتقولي إنهم في الطريق من الصبح كل دا ولسه موصلوش!

- اتصلتي بيهم؟

- أكيد، كتير جداً الموبايلات مقفولة

- طيب اقفلي وأنا هتصرف

قطعت الاتصال بعد أن تسرب القلق إلى نفسها، الطريق من البلده إلى المنزل لا يزيد عن ثلاث ساعات، إذا حدث تأخير أربع لنقل أنهم ست ساعات حتى لو ذلك كان والديها قد وصلوا!

صمتت قليلاً ثم قررت الاتصال بجدتها أو أحد أعمامها والذي أجابها بأنهم خرجوا بالفعل منذ الصباح!

إذن هناك شيء سيء حدث!

قامت من مكتبها سحبت حقيبتها سريعًا ثم غادرت قبل ان تقدم أي اعتذار لأحد وتوجهت عائدة إلى المنزل لترى ماذا ستفعل مع أختها والتي أخبرتها بأنهم يجب أن يبحثوا في أقسام الشرطة والمستشفيات!

لكن لماذا الشرطة؟ هم ليسوا لصوص!

العرف يقول ذلك الشرطة أولاً ثم المستشفيات.

استغرق الأمر ثلاث ساعات حتى وصلوا لجميع أقسام الشرطة

المحيطة بهم واتصلوا بالمستشفيات دون جدوى!

عادوا للمنزل خائبين الوفاض، انهارت شيرين وتماسكت شروق، كل الدلائل تشير أن هناك شيء قد حدث لهم!

امسكت شروق هاتفها و حدثت عمها أخبرته بما حدث وأن يتفقد المستشفيات عنده، جلست بجوار أختها وأخذتها في أحضانها تحتوي شهقات بكائها بينما دموعها تنزل في صمت!

*****

مر الوقت بلا أخبار بلا أي شيء تحجرت الدموع في العيون بينما الألسن لم تتوقف عن الابتهال، قامت شيرين عازمه على الوضوء والصلاه تضرعا لربها بإعادتهم سالمين، بينما جلست شروق تتفقد هاتفها، كانت هناك رسائل كثيرة من زملائها بضرورة تفقد " جروب الدفعة " والموافقة على بعض الأشياء، اضطرت الإستجابة والرد عليهم فهي المسئولة عن هذا الأمر، أنهت كل شيء بفكر مشوش وأيدي مرتعشة، خرجت من " الجروب " ألقت نظرة على صفحتها لتجحظ عيناها لما ترى!

"يا جماعة الحاج والحاجة عملوا حادثة وتوفوا ومش معاهم أي اثبات شخصية للأسف، شير يمكن نوصل لحد من أهلهم الجثث موجودة في مستشفى ... "

دلكت عيناها وقرأت مرة واثنان وعشره نعم هي صورة والديها الجروح

طغت على وجههم لكنها قادرة على تمييز وجههم من وسط ألف وجه!
ظهرت أمامها أختها التي أنهت صلاتها لتراها مصدومة مخشبة الجسد وعيناها لا تغادر الهاتف، اقتربت منها بخوف يثبط من خطواتها، قلبها يحدثها أنها سوف تسمع خبر لا تريد سماعه، ولكنها في النهاية أخذت الخطوة وسألتها " فيه إيه؟! مالك عاملة كده ليه؟! "

كالإنسان الآلي مدت شروق يدها للأمام نحو شيرين التي وقفت لثوان تستوعب ما تفعله أختها، اقتربت أكثر ضيقت عيناها لترى
اتسعت ورفرفت عيناها وهزت رأسها غير مصدقة
لا أكيد دا مش حقيقي، اللي في الصور دول مش هما، صح؟ صح ردي عليا مش هما لا لا
انفجرت شروق باكية تؤكد لها ما رأته بعينيها وتكذبه، صرخت شيرين ووقعت أرضًا تبكي
لا تستطيع التصديق حتى لو اضطرت لتكذيب ما رأت
لا! هم لم يفقدوا والديهم، مجرد تشابه ليسوا هم بالتأكيد!
انتفضوا على رنين هاتف شروق، لتراه عمها قائلاً:
ايه يا بنتي وصلوا ولا لسه؟!
لم تستطع شروق تمهيد الأمر لم يفهم شيء من كلامها ولكنه استطاع استنتاج الخبر من بين شهقاتها

لا حول ولا قوة إلا بالله طب فهميني حصل ازاي

سحبت أنفاسها بصعوبة حاولت أن تهدأ فقط لتخبره بعنوان المشفى وأنهم سينتظروه هناك.

أنهت المكالمة ونزلت على ركبتيها تحتضن أختها يبكون سويًا وتضيع صرخاتهم في أجساد بعضهم، بقوا دقائق على هذه الحالة حتى انتبهت شروق قائلة " شيرين، يلا لازم نلحق المستشفى لازم نروح نستلم الج...

صرخت شيرين ووضعت يدها على فم أختها: متقوليش كده عليهم لا مش عايزه اسمع الكلمة دي

مسحت شروق دموعها قائلة: يلا عشان منتأخرش!

دخلت كل منهما لترتدي ملابس سوداء حتى مع عدم اقتناعهم بالأمر لكنه أمر فطري عليهم فعله.

*****

وصلوا إلى المستشفى كما قالوا على عنوانها، كانت شروق أول من دخلت إلى الاستقبال بينما وقفت شيرين مترددة جسدها يرتعد يرفض التقدم ولو خطوة للأمام!

أحست شروق أن أختها ليست بجانبها لفت ورائها لتراها في تلك الحالة، عادت إليها مرة أخرى سحبتها نحو الأمام ليدخلوا سويًا.

كانت تائهه لا تعرف في أي قسم تبحث أو ماذا تقول إلى ان اوقفتها إحدى الممرضات وسألتها " جايه لمين يا حبيبتي؟! "

انتبهت لها شروق وكأنها دليل لرحالة تائه في وسط الصحراء

فقالت ببطء: لماما وبابا... في أنهي قسم؟!

ابتلعت شروق ريقها والتفتت نحو أختها أولاً والتي انهمرت دموعها فإغرورقت عيناها هي الأخرى ثم قالت: ماتوا في حادثة

اه تقصدي الاتنين اللي وصلوا سوا، شدي حيلك روحي على المشرحة في الدور الأرضي الجثث هناك

صرخت شيرين فإنتبه لها من حولها، أمسكت بها شروق فورًا وضعت يدها على فمها قائلة:

- مينفعش كده متصرخيش عليهم هنا، متصرخيش عليهم خالص

وقفت الممرضة لثوان وربتت عليهم ثم قالت:- ربنا يصبركم يا بنات

ثم تركتهم واختفت.

مشت شروق تجر أختها في يدها نحو الدور الأرضي المخصص للمشرحة، نزلت السلالم بقلب خاوٍ وجسد مرتعش على الرغم من أنها في يد أختها الكبيرة لكنها تشعر وكأن الأمان قد اختفى من العالم، كأن الكون ضاق عليها بما رحب، هل للموت رائحة؟

إنها تشعر بها الآن وهي تقف أمام باب المشرحة، تشعر بها تدخل لتكسر دفاعتها تحثها على الإنهيار أكثر، زاغت عيناها بين أختها والعامل المسئول عن الدخول إلى المشرحة، أخبرته شروق بنفسهم واظهرت له هويتهم قبل أن يسبقها بخطوة للداخل، تركت شروق يد أختها وهمست لها " خليكي هنا أحسن "

لم تعترض شيرين وهل لها طاقة للإعتراض؟

تخشب جسدها في لحظة عندما لمحت المشرحة من الداخل ماذا لو دخلت؟!

دخل الرجل ومن خلفه شروق التي كادت أن تخنتنق من الرائحة الكيميائية الموجودة بالمشرحة، أخذت تسعل كثيرًا حتى توقفت بصعوبة، لم تستطع تفحص المكان فالجو كان يبعث الخوف في نفسها، رفعت عينيها فقط نحو يده التي تتحرك على الثلاجات الموجودة في الحائط أمامها حتى استقر على واحدة و أمسك بيدها الحديدية الفضية تمامًا كما في الأفلام، ثم فتح الباب وسحبها نحو الخارج

لتخرج الجثة نحوها، وقفت لا تعرف ماذا تفعل!

تريد البكاء تريد الصراخ أن تختبئ بحضن والدها التي جاءت من أجل التأكد من جثته!

انتفضت على صوت الرجل يحثها على الإقتراب قائلاً:- تعالي اتأكدي هو دا ولا لا

الكلام وصل عقلها ولكنه لا يزال مستوعبا أو قادرًا على إرسال الإشارات العصبية لتجعلها تتحرك، تأفف الرجل لتلك الفتاه المخشبة التي تقف مرتعدة وكأنها وقعت في بحيرة من بحيرات سيبيريا وليس مكان عادي كالمشرحة!

قرر عدم الانتظار أكثر فرفع صوته " يا آنسه! "

استجابت شروق أخيرًا واقتربت قليلاً، الجسد عاريًا من أعلى مليء بالكدمات الزرقاء والجروح والخدوش، على وجهه ابتسامة لكنها باردة ليست كإبتسامة والدها أبدا وكأن أحد حرك وجهه ليبقى هكذا بعد الموت!

انتفضت مرة أخرى على صوت الرجل الذي قال " هو يا آنسه والدك؟!"

اكتفت بإيماءه مرتشعة من رأسها، أغلق درج الثلاجة ثم انتقل نحو درج آخر، وفتحه بنفس الطريقة ثم أشار لها لتقترب، هذه المرة كانت أمها، لم يكشف ستر جسدها فقط وجهها والذي كان جروحه أكثر وأعمق من والدها يبدو أنها كانت الأكثر تأثرًا بالحادث، كرر

سؤاله وأجابته بنفس الطريقة أغلق الدرج ثم أشار لها بالخروج، كانت شيرين لا تزال على نفس وقفتها عيناها فقط التي تغيرت، ظهر بها رجاء وتمني قرأته شروق فورًا، كانت تتمنى لو أنه رجاء متحقق وتخرج فرحة تجيب أختها بأنهم ليسوا والديهم ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، هزت رأسها وفهمت شيرين، لم تستطع التحكم في دموعها لتنهمر من جديد وتتعالى شهقاتها، بينما تماسكت شروق لتسأل المسئول عن كيفية استلام الجثث؟!

:- مفيش عندكوا راجل في عيلتكم يستلم؟ عم، خال، جوز خالتك؟!

-أيوه عمي في الطريق

-خلاص متشغليش بالك، هويجي ويطلع عند القسم الإداري للمشرحة وهيعرف كل حاجه، استنوه في الإستقبال عشان هنا ممنوع الإنتظار

تنهدت شروق ثم سحبت أختها الباكية مرة أخرى وصعدوا نحو الإنتظار، جلسوا ثم أمسكت بهاتفها لترى عمها في أي مكان الآن، أخبرها أنه على وصول

أنهت المكالمة ومالت على كتف أختها تبكي مثلها في صمت.

*****

مرت ساعة حتى وصل العم، رأته شروق مسرعًا نحوهم ومعه عمهم الأصغر، اقترب منهم الإثنان واحتضنوهم معزيين، أخبرته شروق بأن يذهب للمشرحة.

ذهب العم الأكبر، بينما الأصغر ظل معهما ليسألهما عن الذي حدث وتولت شروق بالطبع إخباره بكل شي.

-لكن ازاي محدش كلمكوا بشكل مباشر؟

-مش عارفه يا عمو البوست مكتوب فيه مفيش حتى إثبات للشخصية معاهم!

-اصبري يا بنتي لحد ما أشوف عمك بيعمل ايه ويسأل على ده.

تحرك من مكانه في نفس الإتجاه الذي سبقه إليه أخيه، ليحضر معه اجراءات التسليم، بينما جلست شروق بجانب أختها التي كانت في عالم ثاني غير عالمهم، كل ما يصدر عنها شهقات متباعدة مع دموعها المستمرة في النزول، كانت تريد التحدث معها ولكن ماذا تقول؟ تعزيها؟ وتعزي نفسها أيضًا، لم تستطع نطق حرف كل ما خرج منها هي أنها أمسكت بيدِ أختها المرتعشة تنشد بها المؤازرة لها ولنفسها.

مر الوقت بطيئًا ثقيلاً على النفس ثقل شاحنة محملة بألاف الأطنان،

أنهى عمها الإجراءات وانتظروا خروج الجثث، ليتفاجئوا بأنهم قد سرقت أشياءهم!

لم يكتف السارق بموتهم في حادثة سرق مالهم وهواتفهم حتى لم يترك إثبات هويتهم ليساعد الناس في الوصول لهم، يقولون إن الحيوانات مفترسة؟ حتى الحيوان في هذا الموقف لكان أحن من هذا السارق، كل ما تخيلت شروق أن والديها ينازعون الأنفاس وبدلا من مساعدتهم ونجدتهم وقف يسرق أشياءهم تتمنى لو تراه فقط لتقطع يديه بنفسها إربًا لعلها تهدأ النار التي تشتعل فيها الآن!

انتبهت على صوت عمها الكبير قائلاً: احنا هناخدهم ونطلع على البلد يا بنتي لازم يتدفنوا هناك

-هيكون بليل كده يا عمو؟

-لا طبعًا على الظهر إن شاء الله بعد ما المغسلين يجوا الصبح

-هما مش خلاص اتغسلوا هنا؟

-أيوه بس أنا مش هاخد بالغسل أي كلام دا هيتغسلوا ويتكفنوا بالكفن اللي أبوكي كان مجهزه، هتيجوا معانا ولا تيجوا الصبح؟

تدخلت شيرين في الحديث لأول مرة قائلة: هنيجي معاكم عايزه اودعهم الليلة

ربت عمها على كتفها والتفت لأخيه الذي لحق به ليخبره أن الإسعاف جاهز بالجثث.

استقلوا السيارة مع أعمامهم، والتي سبقت سيارة الإسعاف لتدلهم على الطريق، جلست شروق تراقب الطريق من بين دموعها التي تظهر بين حين وآخر، تتذكر آخر مرة كانت على هذا الطريق، في سيارة والدهم السابعة صباحًا وصوت أم كلثوم يصدح " يا صباح الخير ياللي معانا " وأبيها يردد معها بصوت عالي كانت أغنيته الصباحية التي دائمًا ما كان يبدأ يومه بها، أما هم كانوا سعداء مرددين معه أغنيته تنطلق ضحكاتهم بين الفينة والأخرى، شتان بين ذلك الوقت والآن، نعم هي مع والديها على نفس الطريق لكن في عالمين مختلفين، عالم آخر لا يزوره أحدٍ سوى المختارين، يا ترى إلى أي طريق ذهبوا؟ هل تحقق حسن الخاتمة؟ لقد كان والديها المثال الحي للطيبة والأخلاق بشهادة جميع من حولهم، هل ذلك شفيع كافٍ؟ هي تثق في رحمة الله ولكن وسواسها يصيبها بالقلق من أجل مصيرهم، رددت في نفسها رحمكم الله يا أعز الناس، الآن فقط لن تقول أبي أو أمي مرة أخرى بدون أن يليها "رحمهم الله"!

إلتفتت نحو أختها التي صمتت نهائيًا حتى دموعها قد توقفت فقط عيناها الواسعة تحدق في فراغ الطريق بلا هدف، كانت تريد أن تتحدث إليها تؤنس وحشة أفكارها الآن لكن عقد لسانها فجأة عن أي حديث، جلست في صمت تردد الأدعية تنتظر نهاية الطريق التي لوهلة أحست أنه لا نهاية له!

*****

وصلوا إلى البلدة أخيراَ، الوقت يقترب من الفجر والليلة باردة جدًا بعكس قلوبهم التي تشتعل بنار الحزن، دخلوا إلى بيت عمهم الأصغر بعيداَ عن جدتهم التي قرروا إخفاء الخبر عنها فأبيها كان المفضل لها من بين أبناءها وهي مريضة قلب لن تتحمل هذا الخبر دون تمهيد، استقبلتهم زوجة عمهم متشحة بالسواد والدموع التي لم تصدقها شروق أبداَ ف هي كانت أكثر الناس كرها لوالدتها خاصةَ ولكنها ستتعامل بما يظهره الناس لا بباطنهم، دخلوا إلى المنزل وصعدوا رجال الإسعاف بجثث والديها، اختاروا الغرفة القريبة من الحمام لسهولة الغسل في الصباح كما أخبرها عمها، وضعوا بجوار بعضهم تحت أنظار شروق وأختها، خرج الجميع وتركوهم يودعوا والديهم كما أرادوا، كانت شروق تريد إبعاد شيرين خوفًا من تأثرها أو صراخها المفاجئ ولكنها تفاجئت بصمت وهدوء تام منها!

أخذت مقعدين وجلسوا يتأملوا والديهم النائمون بهدوء شديد، أمسكت شروق هاتفها وجلست تقرأ دعوات الموتى، بينما اقتربت شيرين منهم وأمسكت بيد والدها تقبلها ووضعت رأسها على صدره كما كانت تحب دائمًا، تألمت بأنها لم تعد تسمع نبضه المحبب لها والذي كان دائمًا ما يبعث فيها شعور الأمان، ولكنها صممت على نفس الفعل لأنها أدركت أنها المرة الأخيرة التي سيتاح لها ذلك، وضعت رأسها على صدره المغطى وأمسكت يد والدتها وأغمضت عينيها وراحت في سبات غريب!

انتبهت لها شروق وكادت أن تسألها عن ماذا تفعل بالضبط!
لكنها تركتها طالما صامتة ولا تصرخ، تركتها لأنها المرة الأخيرة لها، جلست تتابع المشهد الحزين بأعين دامعة وشفاه مرتعشة مردده للدعوات والرجاء لخالقها بجعلهم من أهل جناته العلا كما كانوا يتمنوا دائَما.

*****

جاء الصباح واشتعل البيت بالناس خاصَة بعد الغسل واقتراب صلاة الظهر، نزلوا إلى المسجد وكان أصعب شيء في اليوم هو تردد اسم والديهم في الميكروفون لتنبيه أهل البلدة بوجوب حضور الجنازة، ولم يتأخروا بالفعل فقد كان أبيها معروفَا محبوبَا من الجميع وفي بلدتهم على الخصوص الواجب أهم من أي شيء إنه مثل أركان الدين الأساسية لا يفوتهم أبداَ.
انتهوا من الصلاة ومشوا في الجنازة الكبيرة حتى وصلوا إلى المقابر، وقفوا من بعيد يرون الرجال حاملين والديهم إلى مثواهم الأخير، تعلقت عيونهم بهم لأخر مرة في حياتهم وأغلق كل شيء!
عادوا إلى منزل عمهم يتلقوا العزاء من أهل البلده التي لا يعرفون الكثيرون منهم لكنه دورهم ولابد من تأديته، لم تخلوا العيون من الشفقة الواضحة والتي ضايقت شروق كثيراَ ولكنها قررت تجاهلها والتركيز مع عين واحدة فقط، عيون أختها التي صممت تمامَا عن

خروج أي دموع منذ الأمس حتى مع كل ما حدث اليوم لا تزال صامته لا تبكي لا تتحدث لا تصدر أي رد فعل!

هذا مؤشر خطر، الصمت في مثل هذه المواقف وقبل أن تتحرك نحوها أمسكت بها إحدى السيدات تعرفها بنفسها وأنها كانت صديقة لأمها في المدرسة وجلست تسرد ذكرياتهم التي لا تسمع لها شروق فقط اكتفت بإيماءة وابتسامة متوترة قلقة على أختها لكنها اضطرت أن تبقى وتسمع إكرامًا حتى لوالدتها.

*****

مرت أيام العزاء، كل يوم عن الآخر يقل العدد حتى بقى أهل البيت فقط، حتى الآن لم تعرف جدتها بما حدث، حالتها الصحية لم تسمح بذلك، الأفضل ألا تعلم، قررت شروق وأختها العودة لمنزلهم بعد كل ذلك وبعد الغداء جلسوا ليخبروا أعمامهم برحيلهم

توقف عمها الأكبر عن شرب الشاي ووضعه من يده قائلاً: عايزين ترجعوا فين؟ وتقعدوا لوحدكوا في البيت الطويل العريض دا!

أجابته شروق: طبيعي يا عمو اومال هنروح فين؟

-هتقعدوا هنا تنوروا بيت عمكم لحد ما جدتكم تعرف وتعيشوا معاها

التفتت شيرين بعصبية نحو شروق التي غمزت لها بأن تهدأ ثم قالت: هنعيش هنا ازاي وجامعتي؟ وشغل شيرين واحنا مش هنرتاح عند حد احتد حديث عمها ثم قال: إحنا مش حد يا بنت أخويا إحنا أهلك ودا

بيتك

-أهلي على راسي لكن مش بيتي ودي حياتنا ولازم نرجعلها ومن وقت للتاني شرفونا وإحنا برده هنيجي وهنطمنكوا علينا دايمًا

هز رأسه نفيًا قائلاً: الكلام دا مش هيحصل

تدخلت شيرين بعصبية: يعني هتحبسونا هنا ولا إيه!

أمسكت شروق بيدها لتهدأ فتدخل عمها الصغير قائلاً: البنات معاهم حق يا حاج أحمد صعب يعيشوا هنا فجأة كده هما يرجعوا واحنا نبقى نروح كل كام يوم نطمن عليهم

اعترض الأخ الأكبر وكاد أن يتحدث إلا أنه رأى إشارة خفية من أخيه فابتلع كلامه، بينما وقفت شيرين بعصبية قائلة: يلا يا شروق عشان نلحق المواصلات

تدخل عمها الكبير: عمك محمد هيوصلكم البيت لحد ما نصلح عربيتكم ونبعتها ليكم

قررت شروق تلطيف الأجواء التي شحنت قائلة: ماشي يا عمو ومتقلقش علينا إحنا على اتصال دايما إن شاء الله

ثم وقفت وقبلت رأسه وانتظرت أن تفعل شيرين المثل لكنها تجاهلت الحدث ودخلت إلى الغرفة لتبدل ملابسها

تأفف عمها قائلاً: عاجبك اللي أختك الكبيرة بتعمله؟

-معلش يا عمو حضرتك أكيد مقدر اللي هي فيه

-ياريتها طلعت في عقلك يا بنتي

ابتسمت بتوتر ثم صمتت واستأذنت لترى أختها، الجميع يقولون ذلك لكن لا يعرفوا أن الأكثر عقلاً وتخطيطًا فيهم هي شيرين، هي فقط في كثير من الأحيان تغلبها مشاعرها، تمامًا مثل والدتها كانت حساسة ورقيقة، أما هي فكانت لوالدها أكثر هدوء وتحمل وأقل حساسية، تنهدت وترحمت عليهم ثم دخلت الغرفة وجدت شيرين تبدل ملابسها بسرعة ففعلت المثل، سلموا على أهل المنزل وودعوهم ثم استقلوا سيارة عمهم عائدين إلى منزلهم.

استغرق الطريق ثلاث ساعات كالمعتاد، وقفوا تحت المنزل يستمعوا لوصايا عمهم بضرورة الحفاظ على نفسهم ثم أنهى كلامه قائلاً: إحنا معندناش في البلد بنات تقعد لوحدها لكن أنا عارف عوايدكم غيرنا ومش عايز ازعلكم أكتر ما أنتم هنتكلم في الموضوع دا لما تفوقوا كادت أن تتحدث شيرين مرة أخرى فأمسكت شروق بيدها وضغطت عليها لتبتلع كلامها ثم قالت: تمام يا عمو متقلقش

خرجوا من السيارة بعد وداعه، صعدوا سويًا، وقفوا أمام باب شقتهم والتي كانت في الدور العلوي، أمسكت شروق بالمفاتيح ثم فتحت الباب لتدخل، بينما ترددت شيرين في الدخول، نظرت إليها شروق بعد أن فتحت الأنوار، فإضطرت للدخول وغلق الباب خلفها، دارت بعينيها داخل الشقة، كانت أول مرة تشعر فيها بالفراغ، أول مرة تخلوا من

صوت والديها للأبد!

وكأن شروق قرأت ما في نفسها اقتربت منها وسحبتها في أحضانها لدقائق قبل أن تقول لها: ادعيلهم بالرحمة أحسن يا حبيبتي

أومأت شيرين وتمتمت بالدعاء ثم دخلت إلى غرفتها، تبعتها شروق قائلة: أجازتك في الشغل مستمرة لحد امتى؟

صمتت قليلاً لتتذكر ثم قالت: لآخر الاسبوع، بتسألي ليه؟

-عشان أكيد الجيران وأصحابنا هيجيوا يعزونا ولازم نستعد من بكره

تنهدت شيرين ثم اكتفت بإيماءه من رأسها وبدأت في تبديل ملابسها، تبعتها شروق ودخلت كلٍ منهما لفراشها، ألقت شروق تحية المساء ثم ساد الصمت الخارجي البعيد كل البعد عن حروب الأفكار الحزينة داخل كل واحدة منهم، كيف سيواجهون العالم بظهر مكشوف؟ بسند غائب؟ كيف سيعيشوا في ذلك المجتمع الظالم خاصة للمرأة، من اليوم سيكون كل شيء بحساب، الخروج والدخول والتعامل وكل شيء، ظلت كل واحدة تتقلب في فراشها، كل واحدة تتخيل أسوء السيناريوهات الممكنة من طمع من حولهم فيهم، وكأن أفكارهم حبل مربوط ببعضه لو تكلموا سويًا سيتفاجئوا بأنها نفس الأفكار والمخاوف!

*****

انقضت أيام العزاء التي كانت في منزلهم، إلتف حولهم الجيران والأصدقاء، أحسوا بالدعم والألفه أكثر مما أحسوه في بلدتهم وسط

أهلهم!

انفض الجمع من حولهم فيما عدا أقرب الأصدقاء ظلوا بجوارهم يحاولوا التهوين عليهم ولكن الغريب أن كل ما انقضت الأيام كل ما زاد الحزن!

قائل عبارة أن الوقت يعالج كل شيء هل اختبر موت الأب والأم دفعة واحدة؟

الآن تأكدت فقط أن الحزن على الأموات هو الشيء الوحيد الذي يولد كبيرًا ويظل يكبر إلى ما لا نهاية بعكس ما قيل أنه يولد كبيراَ ثم يصغر!

انتبهت شروق لرنين هاتفها والذي كان عمها يطمئن عليها مثل عادته التي أصبحت يومية هذه الأيام ولكنه فاجأها بأنه قادم مع عمه لزيارتهم في الغد

رحبت به بالطبع وأخبرته أنهم في انتظاره، أنهت المكالمة وإلتفتت نحو شيرين لتخبرها بما قاله عمها على الرغم من ثقتها بأنها سمعت المكالمة وتجاهلتها كعادتها منذ يوم الوفاه، فهي صامته على الدوام إلا من تعليقات بسيطة حتى على أصدقائها المقربين، لم ترد شيرين عليها سوى بنظرة واحدة

تنهدت شروق ثم قالت: ايه رأيك نتفرج على فيلم جديد سوا؟

هزت شيرين رأسها نفيًا: لا أنا هنام عشان لازم أرجع الشغل بكره

حاولت شروق إقناعها لكن دون جدوى فتركتها كما تحب هي في الأساس تريد التنفيس عنها وليست مضايقتها، تمددت في فراشها وجلست تتابع هاتفها وتتحدث مع سالي صديقتها إلى أن راحت في نوم عميق.

*****

يومٍ جديد في المسمى فقط، منذ وفاتهم كل الأيام تشبه بعضها فقط المتغير هو إسم اليوم، ارتدت شيرين ملابسها ولفت وشاح حول رقبتها والذي كان أسود أيضا ثم نزلت إلى عملها والتي فقدت الشغف فيه تمامًا وقررت أن تأخذ إجازة جديدة تهدأ فيها من نفسها ولكن للأسف رفض المدير رفضًا تاما ف هو يعتمد عليها في كل شيء وحدثها أنها إذا تركت العمل ستغرق في بحور الحزن التي تؤهلها للإكتئاب وستدور في دائرة مفرغه لن تخرج منها، يقول أن الإنغماس في العمل سيساعدها ولكنه لم يقل أن العمل سيعيد لها والديها!

وصلت إلى مكتبها وبدأت في عملها وعلى الرغم من كامل تركيزها فيه إلا أنها لم يتوقف تفكيرها في والديها، فإنغمست أكثر وأكثر ولم تفق سوى على رنين هاتفها والتي كانت شروق بالطبع تخبرها بأن أعمامها قد وصلوا، نظرت في الساعة لقد انتهى وقت العمل ولم تشعر فعلاً ولم يخبرها أحد كانت في غرفتها وحيدة، أغلقت كل شيء ثم توجهت للمنزل لترى ماذا يريد أعمامها هذه المرة.

فتحت الباب لتجد عمها مُحمد وأحمد ومعهم عمتهم في الصالون، تعجبت كثيراَ من وجود عمتها وأحست بأن هُناك خطبًا ما ولكنها آثرت السكوت، سلمت عليهم وجلست بجوار أختها التي تتولى دفة الحديث كعادتها مؤخرًا، تناول عمها الكبير منها الدفه قائلاً: كويس إنك جيتي يا شيرين كده نقدر نتكلم مرة واحدة

لم تجيبه شيرين فقط ظلت تنظر نحوهم في انتظار ذلك الحديث المثير المنتظر

سعل مرتين ثم اعتدل في جلسته قائلاً: دلوقتي بعد المرحوم ما مات انتوا بنتين لوحدكم وطبعا معندناش حاجه اسمها تنفصلوا وتفضلوا في البيت الكبير دا وكمان في بلد بعيدة عننا

صمت قليلاً ليرى تأثير حديثه بشكل مبدأي على وجههم ولكنه لم يرى صدى كبير فتجاهل وأكمل: وعشان كده العيلة اجتمعت، أنا وعمتك الكبيرة فاطمة واللي مقدرتش تيجي معانا انهارده عمتك " هانم " مكانها وعمك محمد وقررنا نجوز شيرين لابن عمتها هانم وشروق لما تخلص جامعة تكون لمحمود ابني حتى يكون خلص جيش والبيت دا طبعا حق ورثه هنبيعه ويتقسم بينا بما يرضي ربنا

جحظت عينا شروق وبهُتت تمامَا من حديثه، أما شيرين كانت صفحة وجهها خالية من أي تعبير يمكن ملاحظته بالأعين المجردة، إلتفتت نحوهم عمهم وانتظر قليلاَ ثم قال: ها يا بنات محدش قال رأيه ليه؟

قبل أن تنطق شروق تدخلت شيرين: وهو فين رأينا في اللي بتقوله؟ مش بتقول قعدتوا وقررتوا؟

تنحنح عمها الأصغر ثم قال: إحنا بنقول كده لمصلحتكم يا بنتي

قاطعته شيرين: مصلحتنا ولا مصلحتكم؟ عايزين تاكلوا الورث!

احتد عمها الأكبر: ناكل ايه يا بنت أخويا دا حقنا شرعًا انتوا ملكوش ولد يورث

تحدثت شروق هذه المرة:

- ملناش ولد فعلاً وليكم حق لكن تاخدوه مننا مش تبيعوا بيتنا وتحطونا في الشارع وتقولوا حقكم ثم إن البيت دا بإسم بابا وماما بالنص يعني انتوا ملكوش حق غير في نص البيت

وفين أرض بابا اللي في البلد مش دي ورث لينا؟

ارتفع صوت عمها قائلاً: لا البيت دا كله بتاع أبوكم تمنه ٥ مليون جنيه لينا فيهم ورث وأمكم معملتش فيه حاجه عشان يبقى بتاعها

-الورق موجود عندنا واحنا عارفين حقنا كويس وفين أرضنا

تدخلت عمتها في الحديث لأول مرة: إحنا معندناش بنات تورث في أرض ويجي حد غريب يلهف أرضنا وعشان كده هتتجوزوا ابن عمكم وابن عمتكم ودول هيحافظوا على ورثكم

ارتفعت ضحكات شيرين في وسط تعجب الموجودين وجلسوا يراقبون تصرفاتها التي بدت غريبة، لماذا الضحك الآن!

أنهت ضحكاتها المرتفعة ثم وقفت قائلة: آه عملتوها طبخة بقى البيت وهتاخدوه والأرض ويلا وبالمرة ندلع ولادنا صح كده؟ هي دي وصية بابا ليكم؟ هي دي صلة الرحم يا ناكرين الجميل يا حرامية

احمرت وجنتا عمها الأكبر وقام ليصفعها على وجهها فوقفت شروق بينهما، أكملت شيرين حديثها بصوت صارخ: ايه؟ عايز تعمل ايه؟ تضربني؟ يلا اضرب ورِيني هتعملها ازاي؟ عايزين تاكلوا حقنا وترمونا للكلاب يا كلاب

وقفت عمتها وامسكت بها لتضربها قائله: احنا ولادنا كلاب ياللي معرفتيش تربية

لكزتها شيرين في صدرها بشدة وقعت لها أرضًا: احنا التربية اللي اتربيناها معدتش على حد فيكوا، امشوا اطلعوا بره مشوفش حد فيكوا هنا وحقكوا وريني هتاخدوه ازاي

قال عمها محمد: دا انتي ملكيش كبير وأبوكي معرفش يربيكي وإحنا هنربيكي من أول وجديد

وعند ذكر فقيدها بالسوء لم تشعر بنفسها، جرت نحو المطبخ وسحبت أكبر سكين أمامها وجرت نحوهم تلوح به صارخه: كلمة زيادة على بابا السكينه دي هتبقى فيكوا

صرخت شروق مصدومة: شيرين بتعملي ايه!

ولكنها لم تهتز أو تتراجع، كان الشرر يتطاير من عينيها حتى أن

أعمامها خافوا بالفعل وتراجعوا للخلف!

وبصوت غريب عنها، عن شيرين الرقيقة الحساسة، صرخت بهم بأن يخرجوا من البيت وإلا قتلتهم، وعلى الفور انسحب الثلاثة خلف بعض من أمامها، ولكن صوتها لم يتغير وصراخها لم يتوقف، ظلت تصرخ ورمت نفسها أرضًا حتى جرحت ذراعها جرح غائرًا بالسكين، صرخت أكثر وأكثر لمنظر الدماء، كانت شروق مصدومة خائفة تراقب الموقف بأعين ذاهلة، لقد جنت أختها بالتأكيد قد جنت، وعند خروج دمائها صرخت شروق وانحنت تسحب السكين منها ولكن دون فائدة كانت تقبض عليه بشدة لا تعرف من أين جاءت بها، خرجت الأمور عن السيطرة، جرت شروق نحو الغرفة أحضرت هاتفها واتصلت بصديقتها المقربة لعلها تنجدها، ثم خرجت نحو الشرفة لترى بعض من الجيران خرجوا مثلها من صوت الصراخ، شاورت للأقرب فيهم، فتحرك الرجل فورًا نازلاً من بيته لبيتهم، كانت شيرين في حالة هياج لم يحدث من قبل، تصرخ وتجرح نفسها أكثر وأكثر، دخل الجار مسرعًا وبقوة سحب منها السكين ألاقاه بعيدًا وسحبها هي نفسها إلى أحضانه يحاول السيطرة على حركة جسدها العنيفة جدًا وكأنها حضر عليها قبيلة كاملة من الجان، كبل يدها وحاوطها أكثر بجسده حتى هدأت فجأه، ولم يكن هذا هدوء كانت إغماءه مفاجأة راحت فيها!

إلتفتت نحو شروق قائلاً: اتصلي بالإسعاف بسرعة لازم نلحق الجروح دي

تسمرت شروق في مكانها للحظات ولم تتحرك سوى بعد أن صرخ فيها، بأيدٍ مرتعشة اتصلت بالإسعاف، رفعت عينيها لتجد بعض الجيران قد صعدوا خلفه ووقفوا يراقبون الموقف بأعين مذهولة مثلها، لم تستطع قول شيء ولا حتى رفض وجودهم، نزلت أرضًا تحاول إفاقة أختها بينما الجار كان في الشقة يبحث عن شيء يربط به ذراعيها التي قطعت فيهم لتوها لإيقاف الدماء المنهمرة، سحب فرش السرير وقطعه لأجزاء ربطها بها، بينما جلست شروق تحتضنها باكية مرتعشة، إلتفت الرجل نحو الجمع الموجود وصرخ بهم بأن يساعدوا أو يغادروا ولا يقفوا هكذا يراقبون وكأنهم عرض تلفزيوني وليس فتاه تحاول قتل نفسها!

انفضوا إلا اثنان من النساء جلسوا يهدأون من روع شروق التي رفضت ترك أختها حتى آتى رجال الإسعاف وحملوها نحو المستشفى

أكمل الجار مساعدته وأخذها معه في سيارته غير مباليًا بملابسه الغارقة في الدماء.

مر وقت طويل لم تكف فيه شروق عن البكاء والدعاء، البكاء الذي نادرًا ما يزورها الآن لا يغيب عنها!

وأخيرًا خرج طبيب شاب من الغرفة التي نقلت لها شيرين، توجهت

نحوه شروق بسرعة تسأله: حصل ايه يا دكتور

-متقلقيش خلاص خيطنا كل اللي حصل دا أنا اللي محتاج اسألك عن اللي حصل بالظبط ومين جرحها بالشكل دا عشان نعمل تقرير

توترت شروق من كلمة التقرير ولكنها مستشفى وكل شيء مسجل ولن يمر هكذا، فإضطرت لقص عليه كل ما حدث وكان الحديث أمام جارها الذي زاد إشفاقه عليهم بعد ما حدث

هز الطبيب رأسه ثم قال: أنا هكتب كل دا في التقرير بس للأسف إحنا كده هنضطر نكلم مصحة وطبيب نفسي يكشف عليها لإن دي حالة مش طبيعية كده فيه حالة إنهيار عصبي شديدة

بهُتت شروق لحديثه، رأى الصدمة على وجهها فقال لها مطمئنًا: متقلقيش مش هيحصلها حاجه بس للأسف أختك محتاجه مساعدة ضروري ودي الإجراءات اللازمه

هزت شروق رأسها موافقة ثم قالت: ينفع أشوفها؟

-هي حاليًا تحت تأثير المهدئ تقدري تبصي عليها

إلتفتت نحو جارها قائلة: هدخل أشوفها يا عمو

تركها تدخل وسأل الطبيب: يا دكتور هي كده ايه اللي هيتم بالظبط؟

-هنبلغ وهتيجي لجنة بكرة وطبيب نفسي يتكلم معاها ويكتب تقرير

-لسه بكره؟

هز رأسه آسفًا: إحنا في بلد الروتين يا حاج

-طيب فيه مبيت معاها؟

-فيه مرافق واحد لكن هتتبهدوا هنا الأحسن تاخد بنتك وتيجوا الصبح بدري

ابتسم الرجل لقد ظن الطبيب بأنهم بناته، تنهد بحزن يا ليتهم كانوا بالفعل بناته بعد أن حُرم من الإنجاب، بنات بلا والدين ووالدين بلا أبناء، " حكمتك واسعة يا رب " رددها في نفسه وجلس في انتظار شروق التي خرجت باكية محمرة الوجه، ابتسم مشجعًا لها أن تقترب ثم ربت عليها بحنان قائلاً: متخافيش يا بنتي هتبقى كويسة الدكتور طمني

هزت رأسها بأسى: أنا مبقتش عارفه إيه بيحصلنا

-كل خير يا بنتي متقلقيش إن شاء الله، يلا بينا نسيبها ترتاح وبكره بدري إن شاء الله هنيجي سوا

-لا أنا مش هسيبها هبات معاها اتفضل أنت يا عمو احنا تعبناك بزيادة معانا

-لا يا بنتي مش هينفع تباتي هي كده كده مش هتفوق دلوقتي وهسيب رقمي معاهم لو حصل أي حاجه والمستشفى مش بعيد انتي لازم ترتاحي يا عالم بكره مخبي ايه

وقفت شروق حائرة ولكن تحت نظراته المشجعة لم تجد سوى أن تستمع لكلامه، خرجا سويًا واستقلا سيارته عائدين إلى المنزل، وقف

في شارعهم، تأملته لتجد أن الدماء قد جفت على ملابسه وغطتها بالكامل

تحدثت محرجة قائلة: أنا اسفه على كل دا يا عمو مش عارفه أقول لحضرتك إيه ممكن حضرتك تجيب الهدوم دي هغسلها أنا أو أجيبلك زيها

ضحك الرجل ثم قال: يا بنتي تيجي على قد الهدوم بس بسيطة ربنا يسلم ويرجعها بالسلامة، يلا بينا زمان طنط مجهزالنا الأكل

لم تفهم حديثه وظهر عليها ذلك فأكمل قائلاً: طنط مراتي مستنياها فوق دلوقتي عشان ناكل وترتاحي

هزت رأسها نفيًا: لا متشكرة جدا والله لحد كده يا عمو أنا هطلع البيت دلوقتي

-انتي خايفه مننا ولا ايه؟ دا أنا عمك إيهاب وبابا الله يرحمه كان بينزل الصلاة معايا على طول أنا معنديش ولاد وانتي زي بنتي متخافيش

أنكرت بسرعة قائلة: لا طبعا يا عمو أنا عارفة حضرتك طبعًا لكن متشكرة والله مش هقدر

-وانتي فاكرة اني هسيبك تباتي لوحدك؟ منضمنش يا بنتي عمامك دول ممكن يعملوا ايه هتفضلي معايا لحد ما نطمن وإبقي ارجعي بيتك براحتك

كادت أن ترفض ولكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة تحت نظراته المترجية وأيضا خافت من فكرة التهجم عليها وهي وحيدة وهؤلاء بعد ما حدث تتوقع منهم أي شيء!

رضخت لقراره صعدت فقط لتبدل ملابسها ثم ذهبت معه إلى بيته الملاصق لبيتهم، صعدت خلفه لتجد زوجته تستقبلها بالأحضان وكأنها ولدت معها أو كانت هي والدتها

رحبت بها كثيرًا قائلة: أهلاً يا غالية يا بنت الغاليين الله يرحمهم ويصبركوا يا حبيبتي ادخلي على السفرة على طول زمانك جعانه

دمعت عيناها لذلك الترحيب، هي لم تكن جائعة أبدًا ولا طاقة لها بالطعام لكن أمام ذلك الشعور لم تستطع سوى أن تكرمهم بتناول طعامهم.

*****

جاء الصباح وهي لازالت مستيقظة رغم شعورها بالأمان والألفه في هذا المكان لكن صدمتها وقلقها على أختها آكلت منها ما آكلت طوال الليل، سمعت طرقات خفيفة على باب الغرفة قامت فورًا لم يكن سوى جارها الطيب يطمئن عليها ويخبرها بأن تأتِ لتتناول فطورها أولاً، استجابت لمبادرته وجلست معهم على مائدة الطعام، اضطرت للكذب بأنها نامت، أحست أنهم عرفوا الحقيقة ولكنهم تجاهلوا من أجلها، أنهوا طعامهم وصمم جارها على مرافقتها إلى المستشفى اليوم أيضًا

على الرغم من مشاغله، دمعت عيناها لطيبته، الدنيا غريبة الذين من دمها ويحملون باقي اسمها يفعلون ذلك بها ويجوروا على حقهم والغريب الذي لا مصلحة له في كل ذلك يقف بجانبها هكذا!

فعًلا في كل محِنه منحة.

*****

وصلوا إلى المستشفى ووقفوا خارج الغرفة التي بها شيرين بالداخل كان الطبيب المختص بكتابة التقرير معها كما أخبرهم الطبيب المتابع لها الآن، جلست شروق بجوار إيهاب الذي حاول تهدأتها وصرف ذهنها قدر ما استطاع حتى خرج الطبيب ومعه كثيرِ من الأوراق، وقفت شروق وقبل أن تسأله عن شيء كان الطبيب الشاب قد وصل وبدأ الحديث معه، آثرت الصمت حتى إنتهاء هذا الحديث الطبي خاصة بعدما أشار لها الطبيب أن تنتظر، مرت دقائق على الحديث كانت أعين شروق تتابعهم لعلها تستشف أي خبر حتى من تعابير وجهوهم.

أخيرًا تحرك الطبيب نحوها، قام إيهاب ووقف معهم وسأله: خير يا بني طمنا على حالتها

-خير إن شاء الله يا حاج هي زي ما قولتلكم هي حالة انهيار وهياج عصبي وللأسف لازم تتنقل مصحة نفسية وتفضل تحت الملاحظة ودا طبعا عشان استخدامها للسكينة وجرح نفسها

هزت شروق رأسها نفيًا ولم تستطع السيطرة على دموعها، أمسك إيهاب بيدها لعلها تهدأ ثم قال: مفيش حلول تانية غير مصحة؟ نشوف هما هيعلموا ايه ونعمله احنا في البيت

-للأسف لا لإنها لازم تكون تحت ملاحظة الدكاترة مش علاج بس

-ينفع نشوفها؟

-الزيارة ممنوعة، هي هتتنقل دلوقتي لمصحة وهتفضل تحت الملاحظة ولو فيه أي تطورات هيبلغوا بيها ياريت تكتبوا البيانات تاني كاملة عشان يكون فيه تواصل سريع بينكم

وقبل أن يغادر اوقفته شروق لتسأله: طيب الحالة دي ممكن تاخد وقت قد إيه؟

-متقلقيش هي مش هتطول إن شاء الله ومتزعلوش ادعولها تتحسن دا الأفيد ليها دلوقتي

انهارت شروق في المقعد باكية تخرج شهقات متتالية، لقد انهارت حياتها فجأه، أبيها ، أمها والآن أختها الوحيدة!

ربت إيهاب عليها قائلاً: اصبري يا شروق الصبر خير يا بنتي متعلميش

أومأت شروق برأسها ثم قالت: الحمد لله اللهم لا اعتراض

-خليكي هنا أنا هعمل كل الإجراءات وأجيلك

وقفت ثم قالت: لا يا عمو هاجي معاك

ثم نظرت إلى الغرفة آسفه قائلة: كان نفسي بس أودعها

جذبها إيهاب ومشى نحو الأمام قائلاً: متقوليش تودعيها يا بنتي هي حيه ترزق الحمد لله شوية تعب بس وهيروحوا لحالهم.

أنهوا الاجراءات وصممت شروق على رؤيه أختها حتى ولو من بعيد، حقق لها الطبيب طلبها وغادروا عائدين إلى المنزل، وقفت شروق أمام باب بيتها وأمامها جارها الطيب الذي كان رافضًا أن تبيت بمفردها، رفضت شروق رفضًا قاطعًا وصممت على الصعود لمنزلها

اضطر إيهاب للرضوخ لرأيها ولكن تحت شرط واحد أن تتناول معهم الغداء، استجابت شروق تحت ضغطه وصعدت معه وعلى مائدة الطعام قال:

-شوفي يا بنتي أنا هسيبك ترجعي البيت عشان تكوني على راحتك لكن على شرط؟

ضيقت عيناها وجلست تستمع لذلك الشرط، فأكمل قائلاً: هجيب لك حارس يقعد معاكي في البيت أهو يكون حد بيحميكي عشان لو حد اتعرضلك واحنا برده جنبك وعينيا عليكي

صمتت شروق مفكرة، معه حق هي فعلاً تريد الحماية خاصًة بعد موقف أهلها الصادم معهم ولكن كيف ذلك؟

-تمام يا عمو بس هيقعد فين

تدخلت زوجته في الحديث: يقدر يقعد تحت في البدروم احنا مجهزينه عشان لو فيه ضيوف جت لينا، يبقى طول اليوم قدام بيتك وبليل عندنا

واهو فرق بوابه مش كتير

رفض إيهاب قائلاً: لا أنا عايزة يكون معاها في نفس المكان بحيث لو أي حركة حصلت يتصرف وهيقعد في الدور الأول وأنا هظبطله كل حاجه مش الدور الأول عندك متاح يا شروق؟

أومأت برأسها: آه بابا الله يرحمه كان مجهز الشقة ليا عشان لما أخلص أفتح فيها عيادة

-طيب خير أنا ليا صاحب عنده مكتب توريد أمن هختار حد ثقه ويعتمد عليه وطبعا هنحط كاميرات في كل حته غير كاميرات شارعنا

أحست شروق بالإمتنان الشديد نحوه، صمتت قليلاً تحاول تجميع جملة مفيدة وافيه لحقه ولكنها لم تستطع:

-أنا مش عارفة أقولكم ايه بجد

-متقوليش حاجه يا بنتي كله بتدابير ربنا

كان رد إيهاب عليها بينما اكتفت زوجته بأن ربتت على كتفها بحنان بالغ اقشعر له بدنها، أحست أن هناك تعويض ولو بسيط عن أمها التي فقدتها فجأه.

أكمل إيهاب حديثه: بالنسبة لشيرين أنا أعرف دكتور جوا المصحة هكلمه وأوصيه ينقلنا كل الأخبار كأننا معاها

تهللت أساريرها واستبشرت، لم تشكره هذه المرة ولكن تعابير وجهها التي ساد فيها الفرح ثم الهدوء كانت كافية بالنسبة لهم.

*****

انقضى اليوم أخيرًا ولم يتركها " إيهاب " إلا بعد أن نفذ كل ما أخبرها به، جاء بالحارس الذي كان في العقد الرابع من عمره شكله مريح بالنسبة لها هدأت وتجاوزت قلقها ناحية الأمر والآن يمكث في الدور الأرضي متجهزًا لأي شيء قد يحدث، ثم ركب الكاميرات وأصبحت ترى كل جوانب البيت وأدواره من خلال شاشة هاتفها وأيضًا احتفظ إيهاب لنفسه بإمكانية الدخول للاطمئنان عليها من حين للآخر، دخلت في فراشها وتدثرت جيدًا من البرد، جلست تفكر في أختها يا ترى هل هي مرتاحة وهادئه الآن؟ وماذا تفعل في تلك الليلة الباردة، حتى بعدما أرسلت لها ملابس وأغطية خاصة في المصحة ولم يكن يتحقق ذلك سوى بمعرفة إيهاب، لكنها قلقه عليها، لفت بعينيها في الغرفة وبدأ الخوف يتسرب إليها والوحدة تنهش في جسدها، حاولت التجاهل فأمسكت هاتفها واتصلت بصديقتها المقربة " سالي " لتقص عليها كل ما حدث وتطمئن بصوتها لتذهب في النوم بعدها، صممت سالي على أن تأتي إليها في اليوم التالي وتبيت معها حتى عودة أختها إلى المنزل مرة أخرى، وهو الخبر الذي أثار السعادة في نفسها وساعدها كثيرًا على النوم.

*****

لفت بعينيها في المكان، كان كل شيء باللون الأبيض، الجدران السرير الباب حتى ملابسها كانت بيضاء، لم يكسر هذا اللون سوى الأغطية

التي أرسلتها لها أختها، اللون الأبيض يبعث الهدوء في النفس لكن لماذا في نفسها يبعث الخوف؟!

جلست على الفراش وتمددت، لمحت كاميرات المراقبة في المكان فتنهدت، كلما نظرت إلى ذراعيها المغطاه بالقطن والشاش الطبي والخياطة التي حصلت عليها يقشعر بدنها، حتى الآن لا تعرف كيف فعلت ذلك، كيف أمسكت السكين بكل هذه السهولة وهي عاشت عمرها كلها تتجنبه!

هي لم تشعر بشيء سوى بأول صراخها وانهيارها بعدها أصبح كل شيء أسود اللون لم تميز منه شيئًا، هكذا كانت تريد إخبار الطبيب الذي جلس وتحدث معها، لكن هناك ما يعقد لسانها، هناك ما يوقفها عن التحدث والبوح بكل ما يجول بخاطرها، تريد أن تقول ولكن لا تعلم ماذا تقول بالضبط!

بدأت الغرفة في التحرك والدوران من حولها، يبدو أنه تأثير الدواء الذي تناولته منذ قليل، أغمضت عيناها لعل الدوران يقف ولكنها مع أول لحظة في إغلاقها راحت في سبات عميق!

*****

مرت عشرة أيام على دخول شيرين المصحة، كل يوم يأتي إيهاب ويبلغها بكل التفاصيل، والتي للأسف كانت سيئة، كانت شيرين رافضة للطعام أو الشراب فقط تعيش على الأدوية مما اضطرهم

للتغذية الصناعية عن طريق المحاليل الوريدية، في اليوم الثامن أخبرهم الطبيب أنها بدأت في التحدث ومن ذلك أعطاها تشخيص مبدأي بإكتئاب ما بعد الصدمة ولذلك لن تخرج من المصحة قبل شهر كامل!

استقبلت شروق الخبر بهدوء عكس ما يعتمل في نفسها، هي تعرف جيدًا هذا المرض وعلاجه الذي يأخذ وقت، تريد أن تفعل لها شيء و لكن ما بيدها حيلة سوى الصبر والدعاء.

في اليوم التالي نزلت وسالي إلى الجامعة، اقتربت امتحاناتهم وانشغلوا في المحاضرات طوال اليوم، عادوا منهكين إلى المنزل ومعهم طعام جاهز من الخارج مثل كل يوم تناولوه بسرعة ودخلت كل واحدة منهم إلى فراشها تنشد راحة بعد هذا اليوم.

مرت ساعة واحدة قبل أن تنتفض شروق على صوت طرقات عالية على الباب ورن مستمر لجرس المنزل، ارتعبت من الصوت وإلتفتت نحو سالي الغارقة في النوم، قامت من فراشها لتوقظها انتبهت سالي أخيرًا بينما أمسكت شروق هاتفها وفتحت الكاميرات لترى أعمامها يقفون أمام المنزل يشيرون ويهللون أمام الحارس الذي كان واقفًا صامدًا أمامهم، لم تشعر بنفسها إلا وهي تسحب حجابها وتنزل مسرعة إلى الأسفل وخلفها سالي، لمحها عمها الكبير هتف فيها: انتي بتمنعينا من دخول بيتنا يا بنت اخويا جايبلنا واحد يوقفنا زي الغُرب

طب والله العظيم اللي بتعمليه دا مش هيعدي على خير وهتشوفي هعمل فيكي ايه انتي واختك

وعند بداية التهديد أخرج الحارس سلاحه المرخص ورفعه في وجههما مهددًا: كلمة زيادة وهفرغه فيكوا ومش هاخد يوم عشان دا دفاع عن النفس والبيت

هتف عمها الأصغر: كمان بتهددونا وترفعوا علينا السلاح هي حصلت!

تشجعت شروق التي وقفت في ظهر الحارس: أيوه حصلت ولو حد قرب أكتر من كده هننفذ تهديدنا

في هذه اللحظة كان إيهاب قد نزل بعدما سمع صوت الجلبة التي حدثت وللأسف وقف بعض الجيران يشاهدون العرض من شرفهم، وقف أمامهم إيهاب وقرر صرفهم عن المكان بشدة

فقال العم الكبير: طيب ماشي جايبالي شوية.... تتحامي فيهم بيني وبينك المحاكم وهخرجك بره البيت اللي فرحانه بيه دا

لكزه إيهاب في صدره فتدخل الحارس بسرعة قبل أن تصبح مشادة بالأيادي ورفع السلاح أكثر ليأمرهم بالإبتعاد فورًا عن المنزل، مشوا بعد أن أثاروا فضيحة في المنطقة الهادئة والتي تستجيب لأي صوت كما حدث الآن!

وقفت شروق تبكي بجوار صديقتها المصدومة بينما وقف إيهاب يتحدث مع الحارس بضرورة وجود آخر معه ليحميهم، ثم توجه نحو

شروق مربتًا عليها قائلاً: متزعليش والحمد لله إننا عملنا حسابنا أنا كنت متوقع دا اللي يحصل

قالت شروق باكية: إحنا اتفضحنا يا عمو كل شوية بحاجه منهم لله الناس هتقول إيه علينا

-طظ في الناس المهم إنك بخير، اطلعي دلوقتي وبكره الصبح هنروح نعملهم محضر اثبات حالة بتفريغ الكاميرات وعدم تعرض وقضية قصاد قضية وأنا وراهم

لم تشعر شروق إلا بعد أن رمت نفسها في حضنه تبكي بشدة، ابتسم إيهاب وربت على كتفها كصغيرته التي لم يرزق بها، هدأ من روعها وتأكد من كل شيء بخير ثم خرج ليأتي برجل آخر يساعد ذلك الحارس في حماية شروق من أعمامها!

استغرق الأمر يوم كامل في قسم الشرطة بعد أن صمم إيهاب على ذلك المحضر كبداية لأخذ خطوات قانونية رادعة، كانت شروق صامدة ولكن بداخلها بركان حزن يفور ببطء، الآيه مقلوبة وسندها في الحياه بعد والديها يفعلون بها كل هذا، فقط من أجل مال لم ترفعه عنهم ولكن بالحق وهم يريدون التعدي والطمع، كم رجل يتغنى بالشرع مثنى وثلاث ورباع وعند الحقوق ينسى الشرع وينسى من شرعه ويستجيب لضلاله بداعي أن هذا هو الحق!

*****

مرت الأيام بطيئة حزينة ولكنها صامته عن أي مصائب جديدة، يوميًا تتابع حالة أختها من خلال إيهاب والذي أخبرها بأن شيرين بدأت تستجيب للطعام وتأكل، وسيبدأوا معها جلسات العلاج بعد يومين ولكن قبل ذلك سمح الطبيب بزيارة لأختها لدعمها قبل رحلة العلاج خاصًة وأن حالتها قد هدأت وتحتاج لكل الدعم الآن.

تهللت أسارير شروق وجلست تحضر الطعام الذي تحبه أخته وترتب في كل الكلام الإيجابي الممكن حتى تدعمها.

جاء الصباح واستقلت شروق سيارة إيهاب ومعها سالي والذي صمم بالطبع على مصاحبتها كما يفعل دائمًا في الآونه الأخيرة، على الرغم من أن الزيارة مسموحه لها فقط ولكنهم جاءوا معها يدعمونها في دعم أختها.

وصلوا إلى المصحة وأوقفوا السيارة بالخارج، ممنوع الدخول وقلق راحة المرضى، دخلوا على أقدامهم وتمشوا في حدائق واسعة ينتشر بها أناس يرتدون اللون الأبيض ومعهم أطباء متابعين منتشرين في المكان، المكان هادئ خارجيًا لكن عندما دخلت المبنى المختص لا تعرف لماذا انقبض قلبها هكذا!

سبقهم إيهاب ليسأل عن ذلك الطبيب قريبه والذي كان ينقل له كل شيء الأيام الماضية، وصلوا أخيرًا واستقبلهم بإبتسامة هادئه ثم استأذن وأخذ شروق إلى مكتبه ليخبرها بالحالة كاملة وما تحتاج له

الآن.

وقف الطبيب أمام الغرفة التي بها شيرين، طرق الباب طرقات خفيفة ثم فتحه وأشار لشروق بالدخول

دخلت شروق وأغلقت الباب خلفها لترى أختها هادئه جالسة على الفراش، ارتعد جسدها عندما رأتها شعرها مهندم وملابسها نظيفة ولكن وجهها شاحب وأصبح نحيلاً في وقت قليل جدًا، تنفست بهدوء في محاولة عدم إبداء ملاحظة بأن شيء قد تغير فيها كما أكد عليها الطبيب، ومشت بسرعة نحوها مبتسمة فوقفت لها شيرين واحتضنتها بشدة، بقوا هكذا لدقائق كاملة قبل أن تبتعد عنها شيرين، مسحت شروق على شعرها كما تحب

جلست بجوارها على الفراش قائلة: وحشتيني

أومأت شيرين وظلت صامته لدقيقة ثم قالت: أنا آسفه

تفاجئت شروق فربتت على يدها ثم قالت: مفيش حاجه تتأسفي عليها يا حبيبتي لو عايزه تفرحيني فعلاً يلا خفي وكوني بخير

-تفتكري هرجع كويسة؟

-طبعا يا حبيبتي انتي مفيش فيكي حاجه أصلاً مجرد حزن وهيروح لحاله الدكتور لسه مطمني

تنهدت شيرين ثم قالت: الأفكار اللي جوايا مش مجرد حزن

-أيوه أنا عايزاكي تتكلمي في الأفكار اللي جواكي مع الدكتور عشان نحل بسرعة

تجاهلت شيرين حديثها ثم قالت: عملتي إيه مع أعمامك؟
ابتلعت ريقها هي لم تكذب أبدًا في حياتها على أختها بالذات ولكن لابد من ذلك هل نضعه تحت قائمة " الكذب الأبيض "؟
-محصلش جديد متقلقيش أول ما ترجعي البيت هنبيعه ونرميلهم فلوسهم ونعيش في مكان لوحدنا فيه بحر زي ما بتحبي يا ستي
وجدت الإبتسامة طريقها في وجه شيرين لأول مرة مما أسعد أختها كثيرًا وأحست أنها أصابت هدف مهم فهي تعرف أن أختها عاشقة للبحر طوال عمرها.
جلست تقص عليها أمورًا إيجابية لم تحدث ورمت بعض النقاط في منتصف الحديث مثلما أخبرها طبيبها، لتلمس شيئًا داخلها يسهل عليه طريقه معها في العلاج.
انتهى الوقت سريعًا لأول مرة منذ فترة، واضطرت شروق لترك أختها بعد أن أحست أنها حققت شيئًا إيجابيًا معها.
خرجت وقابلت الطبيب مرة أخرى وأخبرته بكل تفصيلة طلبها منها، طمئنها وغادرت مثلما جاءت.

*****

مرت الأيام وانغمست شروق في دراستها، حتى في المنزل تجلس مع صديقتها يكملون ما عليهم من مذاكرة، كان مجالها صعبًا واقتربت امتحانات الشفوي الأصعب كثيرًا من التحريري، كانت شروق متفوقة

في دراستها ولكنها لسبب لا تعلمه فقدت تركيزها في الدراسة وأصبحت تخطأ في اخطاء بديهية في مجالها، تأففت وأمسكت رأسها بعصبية أمام صديقتها، التي أمسكت بالكتب وأغلقتها ثم سحبت شروق من يدها ودخلت بها نحو المطبخ تحت نظرات شروق المتعجبة لكنها وقفت بجانبها لترى ما تفعله

وقفت سالي تعد شيئًا ساخنًا لهما فتسألت شروق في النهاية: بتعملي ايه!

-هوت شوكليت عشان يهدينا ويدفينا، قوليلي فين الذرة عشان الفشار

-فشار إيه!

-عشان نتفرج على فيلم لطيف سوا

-بتهزري؟ عندنا امتحان بكره!

-آه منا عارفه قولي بس فين

لم تتحرك شروق إلا بعد أن طلبت منها سالي للمرة الثالثة،

أخذت كل شيء وذهبوا سويًا نحو الغرفة جلست سالي وارتشفت رشفه أولاً ثم قالت: انتي محتاجه تهدي عشان تركزي وتاخدي نفس النتيجة اللي متعودة عليها لازم هدوء

جلست شروق بجوارها تردد الجملة في رأسها، صحيح تحتاج إلى الهدوء لكن أين في كل هذا؟ أين الهدوء في حياتها وهي تعيش مرعوبه من فكرة أن يتهجم عليها أعمامها مرة أخرى؟ أين الهدوء وأختها

الوحيدة في مصحة نفسية؟ هدوء وسط حزنها على والديها دفعة واحدة؟ دمعت عيناها للأفكار المتدافعة داخلها، تركتها سالي ولم تقترب أو ترفض دموعها بل نظرت إليها تحثها على المزيد، وكأن عيناها فهمت الأمر، أخذت دموعها تزيد وتزيد حتى خرجت شهقات متتالية وهنا تدخلت سالي وفتحت لها ذراعيها لتأخذ شروق مكانها ويزيد البكاء لأعلى درجة ثم ينخفض رويدًا إلى أن أصبح أنين وشهقة من حين لأخر، تركتها سالي إلى أن انتهت تمامًا ورفعت رأسها نحوها فإبتسمت لها سالي مشجعة وقالت لها شروق ممتنة: شكرًا

قبلتها سالي وجذبتها وبدأوا في مشاهدة الفيلم الذي اختارته.

مهم جدًا أن تحاط بصحبة تدعمك تبقى السند وقت لا سند لك، تتقبلك في أضعف أوقاتك وأكثرها تعبًا، تنير لك عتمتك الداخلية أولاً قبل الخارجية، يبقوا دائًما نجومًا مشعة في سماء حياتك تدلك على الخطوات القادمة.

كلما مرت المواقف كلما عرفت أنها اختارت الصديقة الصحيحة، لا يهم المظهر الخارجي لا يهم أي شيء سوى دواخلنا الصافية لبعضنا مثلهم سويًا.

انتهى الفيلم وخلدوا إلى النوم هادئيين، استيقظوا فجرًا وبدأوا في المذاكرة بجد ثم ذهبوا لينجحوا سويًا في الإمتحان.

*****

مرت الأيام لم يعكر صفوها سوى اتخاذ أعمامها الاجراءات القانونية ضدهم كما كان متوقع لكنها آملت ألا يحدث ذلك، أخبرها جارها الطيب ألا تشغل بالها بشيء سوى امتحاناتها، لكن اليوم هو أسعد يوم في تلك الفترة بأكملها، اليوم هو خروج شيرين من المصحة، أخبرهم الطبيب بأنها ستكمل في المنزل وتأخذ جلسات أسبوعية لتكملة العلاج، تركت شروق محاضراتها وعادت إلى المنزل لتستقبلها بكل الطعام الذي تحبه تعويضًا عن طعام المصحة، تركتها صديقتها بالطبع لتستمع بصحبة أختها فقد انتهى دورها الآن بعودتها.

اختار إيهاب أن يقلها حتى المنزل فإنتظرتها شروق بشوق كبير في الشرفة، إلى أن لمحت السيارة نزلت بسرعة إلى أسفل لتستقبلها في أحضانها بالدموع الضاحكة، لفت شيرين بنظرها في المكان بإشتياق كبير، تغيرت النظرة في عيونها عندما لمحت رجال يقفون بجوار بوابة المنزل، لمحت شروق تغيرها فهمست لها في أذنها " هفهمك كل حاجه بعدين تعالي يلا بينا على فوق "

أومأت شيرين وصعدت معها بعد أن ودعوا إيهاب وشكروه بالطبع، استقبلت شيرين روائح الطعام بتهليل دائمًا ما كانت تفعله عندما يحدث ذلك، ضحكت شروق واقترحت عليها بأن تأخذ حمام وتبدل ملابسها حتى تضع الطعام على " السفره "

مر الوقت بين ضحك ودموع وانتهى بأن نامت شيرين بين ذراعي

أختها الصغيرة.

*****

جلست بجوار "سالي" تتناول طعامها وتقص عليها ما حدث مع شيرين خلال اليومين الماضيين، تركتها " سالي " إلى أن انتهت ثم قالت لها: جميل اللي بتعمليه ولازم تخلي بالك متحسسيهاش إنها مينفعش تقعد في البيت لوحدها، لازم تحس إن كل شيء طبيعي

-أنا فعلاً بحاول أعمل دا لكن مش قادره أمنع خوفي من انتكاسه تحصلها، افرضي حد من العيلة راح البيت تاني!

-لا متقلقيش بعد الخطوات القانونية مش هيعملوا حاجه، انتي عرفتيها؟

-لا فهمتها بس إن عمو إيهاب جاب الأمن دا عشان وأنا لوحدي

-كويس، هي مش هترجع شغلها؟

هزت شروق رأسها نفيًا ثم قالت: لا الدكتور قال لسه قدامها وقت لحد ما تقدر تتعامل خصوصًا إن شغلها زحمة وضغط

صمتت سالي قليلاً تفكر في شيء ما ثم قالت فجأه: إيه رأيك لو روحنا رحلة سوا بعد امتحاناتنا؟ نغير كلنا جو أنا وانتي وشيرين

لمعت عيناها قائلة: بجد فكرة حلوة جدًا هيفرق معاها خصوصا لو المكان فيه بحر

-اتفقنا هدور على رحلة واقولك

ابتسمت لها شروق ممتنة ثم مالت على كتفها لتقول: شكرًا يا سالي، أنا بحبك جدًا

مرت الأيام تحسنت فيها شيرين كثيرًا، كانت أكثر إقبالاً على الجلسات واهتمامًا بالأدوية المساعدة، خاصَّة بعد كل ذلك الدعم الذي قدمته لها أختها الصغرى، وقفت تحضر حقيبة ملابسهم اليوم هو آخر امتحان لها وفي الغد يسافرون سويًا لبلد ساحلية احتفالاً بذلك، كان البحر هو المكان المفضل لها لذلك فرحت وتحمست كثيرًا، وقفت تُعد كل شيء انتظارًا في أختها التي أخبرتها أنها ساعة وتكون أمامها.

أنهت ما بيدها وتوجهت نحو المطبخ تتأكد من الكعكة التي جهزتها خصيصًا لشروق بطعم البرتقال التي تحبها كثيرًا، كانت ناجحة بالطبع، الشيء الجيد الذي ورثته عن والدتها كانت المهارة في صنع الحلويات، ابتسمت للذكرى دعت لها بالرحمة وخرجت أمام التلفاز تنتظر عودة أختها.

راحت شيرين في النوم أمام التلفاز، لم تشعر بنومها سوى بإنتفاضتها بسبب صوت عالي من إعلان يعرض، رفعت رأسها لتعيد توازنها، الأدوية النفسية والمهدئات جعلتها دائمة النوم طوال اليوم، أمسكت بهاتفها لترى الساعة، تفاجئت عندما وجدت أن الوقت كان قد مر لساعتين ونصف ، كل هذا الوقت ولم تأت شروق!

تعجبت كثيرًا فقامت بتفحص المنزل أولاً لعلها عادت وتركتها نائمة،

لكن لا حي في المكان سواها، أمسكت بالهاتف مرة أخرى لتتصل بها لتجده مغلق!

بدأ القلق في التسرب إليها، لكنها حاولت محاربته بكل الطرق التي قال عنها الطبيب، تجاهلت القلق وجلست تمني نفسها بأن بطارية هاتفها قد فرغت، اقتنعت ثم قامت لتجهز الطعام وتلهي نفسها عن القلق، لكن مر الوقت حتى أصبح ثلاث ساعات، أربع ساعات ولازال الهاتف مغلقًا، لم تجد مفر من القلق، أمسكت بالهاتف واتصلت بصديقة أختها " سالي " لتصدمها قائلة:

-موصلتش ازاي؟ احنا سايبين بعض من ٥ ساعات هي حتى غيرت رأيها وقررت تمشي على طول!

انهارت شيرين على الكرسي: يعني إيه تفتكري كل دا فين، عملت حادثة!

استنكرت سالي قائلة: لا طبعا متقوليش كده، بصي أنا جيالك يا شيرين متعمليش حاجه

لم تترك لها سالي فرصة التحدث أنهت المكالمة، تكالبت عليها كل الأفكار السوداء، هذا نفس ما حدث مع والديها وفي النهاية جاءها خبر موتهم!

هزت رأسها وكأنها تنفض تلك الأفكار عنها، لا لن يحدث ذلك، لن تُختبر في أحدٍ من عائلتها مرة أخرى، لم يتبق لها سوى أختها

لن يحدث شيئًا بالتأكيد لها عذرها في التأخير، من الممكن أن تكون ذهبت إلى إحدى صديقاتها، لكن لا أصدقاء لها سوى سالي، الباقي زملاء لن تذهب لهم، تسأل وتجاوب على نفسها!

جربت الاتصال بها مرة أخرى ولكن دون جدوى هو نفس الرد بأن الهاتف مغلق...

إلى من تلجأ بعد الله سوى لعائلتها التي حرمتها من أي صلة رحم أو طلبٍ لنجدة!

لم تفكيرها بالإتصال به من لديهم الآن سوى عم " إيهاب "!

حمدت ربها أنه كان قد صمم على ترك رقمه معها تحسبًا لحدوث أي شيء، اتصلت به بسرعة وأخبرته عما حدث، كان في عمله سمع ما قالت ليرد بجملة واحدة " أنا جاي حالاً "

جاءت سالي وخلفها إيهاب الذي طلب منهم كل التفاصيل الممكنة، لا جديد سوى ما قالوه، إلتفت نحو سالي ليسألها:

-هي ركبت مواصلات ولا تاكسي ولا إيه بالظبط

-معرفش للأسف أنا مخرجتش معاها من الكلية هي خرجت لوحدها

أكملت بأسف: قالتلي نمشي سوا بس كنت عايزه اقعد اخلص حاجات وهي كانت مستعجله عشان شيرين

صمت إيهاب قليلاً ثم قال: كده مفيش غير إني أمشي في نفس طريق الجامعة لحد هنا يمكن أعرف حاجه

انتفضت شيرين في مكانها قائلة: أنا هاجي معاك

-لا هتفضلوا هنا يمكن تيجي لازم تلاقي حد

وقف إيهاب وقبل أن يغادر هتفت سالي: حضرتك ممكن تبص على كاميرات بوابة الكلية أكيد هنعرف منها حاجه

-صح يا سالي فكرة كويسة

قامت سالي من مكانها قائلة: كده يبقى لازم أجي معاك أنا عارفه الأمن هناك وهيساعدونا أسرع

غمز لها إيهاب بعينيه ناحية شيرين، فطنت سالي أنه لا يريدها أن تكون بمفردها، نعم معه حق من الممكن أن يحدث لها انتكاسه أخرى خاصة وهو نفس الموقف!

*****

أخيرًا وصلت لنهاية امتحاناتها هذا الترم، ولسعادتها ستسافر غدًا مع أختها وصديقتها الأقرب، وقفت تُمني نفسها بالأحداث السعيدة القادمة حتى تجد مواصلة تعيدها إلى المنزل بسرعة لتبدأ في تحضير أشياءها، لم تستطع الجلوس مع سالي، الحماس يأكلها لتجهز كل شيء منذ الآن

طال الانتظار ولا يوجد ولا حافلة واحدة أتت حتى الآن، لا بأس ستستقل " تاكسي " بدلاً من الحافلة، وقفت تختار في السائقين، هي عادة مضحكة تفعلها دائمًا هي وصديقتها تختار سائق هيئته طيبة

حتى تطمئن، ولكن هل الطيبة تحدد من الهيئة!

وفي النهاية أوقفت أحدهم أخبرته بالعنوان وافق على الفور، تعجبت على الرغم من أن منزلها ليس ببعيد لكنه في الناحية الأخرى من المدينة ويكره السائقين الذهاب إليها كثيرًا، هذا أول واحد يوافق من أول مرة، جلست بجواره وانغمست في أفكارها حول الغد والرحلة السعيدة، كان طريق العودة مزدحمًا بعض الشيء، في كل إشارة مرور يقفها السائق، ينظر إليها متفحصًا، تكاد تقسم أن نظراته تجردها من ملابسها الواسعة!

تأففت ولكنها معتادة على ذلك، انكمشت في الكرسي وجلست تراقب الطريق، كان هُناك دوران لا يأخذه السائق في الطريق بل يُكمل حتى النهاية لكنه أخذه ودار بالسيارة ولم يكمل الطريق بل دخل من اختصار آخر، لم تنتبه في بداية الأمر خاصَّة وأنها انشغلت لمدة في الرد على حسابها في " الفيسبوك " ولم ترى الطريق سوى بعد أن رفعت رأسها صدفة لتجد ما حولها يتحول لأصفر اللون، صحراء، لقد دخل طريق آخر لم تره من قبل!

إلتفتت نحوه وقالت: أنت رايح فين دا مش الطريق!

-متقلقيش يا آنسه أنا بس اختصرت عشان الزحمة زي ما انتي شوفتي كده

استنكرت فعلته قائلة: بس أنت معرفتينش كان المفروض تقولي وأنا

يا أوافق يا لا!

ضحك السائق ضحكة سمجة قائلاً: يا آنسه من امتى بنقول للزبون رايحين فين المهم عنده يوصل مرتاح وبسرعة، وأنا هريحك وبسرعة برده

ضغط على حروفه الأخيرة مما أثار داخلها خوف من شيء غير واضح!

فضلت الصمت وجلست تتابع الطريق الذي لا ينتهي ويدخل في الصحراء أكثر، ساورها القلق خاصَّة مع نظراته التي أصبحت وقحة فجأه، فكرت في إلقاء نفسها خارج السيارة ولكن من ينجدها في تلك الصحراء!

النجدة من عند الله "يلا يا شروق" هكذا أخبرت نفسها قبل أن تضغط على مكبس الباب وترمي بنفسها لكنها وجدته مغلقًا!

إلتفتت نحوه وجدته ينظر إليها ضاحكًا قائلاً: عايزه تنزلي ليه يا جميل مش قولتلك هريحك

وعند هذه الجملة أوقف السيارة لترى أن لا شيء حولها سوى الصحراء!

شهقت شروق عندما اقترب منها وأمسكها من أعلى جسدها، صرخت به: أنت مجنون بتعمل ايه اتفضل روحني

ضحك بشدة قبل أن يعُيد الكره ولكن هذه المرة أشد، أدركت شروق

ما يفعله يتحرش بها ستضربه، رفعت يدها لتصفعه أوقفها بلمسة واحدة، فقد كان ضخم الجثة وذراع واحد منه يمثل فخذها كله

رفع يده نحو رأسها قائلاً: ما تقلعي الطرحة دي يا جميل أكيد شعرك تحتها أحلى، ولا أقولك اقلعي الهدوم دي أكيد مخبية جمال أكتر تحتها

صرخت به شروق: أنت عايز مني ايه!

-عايزك، ها نمشيها بالسهل والمزاج الحلو وأوعدك هتتبسطي ولا أمشيها بالغصب بس المرة دي مش هتتبسطي خالص

حاولت شروق التفكير في أي حيله يمكن أن يصدقها وتنقذها من براثنه، لكن كل الأفكار اختفت فجأه، تكاد تتوسل عقلها كي ينقذها ولكن لا حياة لمن تضغط عليه، أكمل حديثه المستفز أكثر: لا انتي شكلك مش من بتوع السهل والمزاج، انتي عايزه الغصب وأنا الصراحة بموت في العنف

وعند هذه اللحظة انقض عليها، يجردها من ملابسها بيد واليد الأخرى يكبل جسدها، صرخت، صرخت كثيرًا حتى كادت أن تخرج حنجرتها مع الصراخ، صرخت وبكت وانتفضت وكل شيء يعرفه جسدها كتعبير، لكن أمام ذئب لا يؤثر فيه صراخها سوى أن يجعله يزيد أكثر فيما يفعله، " اتقي الله، اتقي الله في نفسك وفيا" قالتها من بين شهقاتها ليبتلع كلامها في قبله قذرة برائحته الكريهه وأنفاسه

اللاهثه كالكلب حتى الكلب لا نرضى له ذلك التشبيه، حاولت تذكر أي شيء من حصة الفنون القتالية التي كانت قد حضرتها في الصغر، ولكن لا شيء صفحة بيضاء مضطربة خائفة تلعن كل شيء حولها، ضربات خرجت منها كمحاولة في الحفاظ على جسدها الذي ينهك الآن، ما زاده سوى ضحك!

الآن جردها من ملابسها، جردها من آخر ستر لها في الحياه، وتجرد هو الآخر مستمتعًا بالعرض، مال عليها بجسده كله ثم أمسك بمقعدها ليقوم بفرده إلى الخلف أكثر!

كانت شروق في حالة ذهول مما يحدث، حتى هذه اللحظة لم تقتنع أنها لا تعيش أحد أفلامها وتتواجد مكان البطلة في قضية اغتصاب، نعم هو اغتصاب وليس تحرش خاصًة بعدما حدث وسيحدث، خرجت منها ضربة أتت من قدمها لتصيب منتصف جسده مما أثار غضبه وحفيظته فكبلها زيادة بيده ومال بجسده كاملاً عليها يوسعها قبلات هنا وهناك وفي كل شبر في جسدها، يطبع قذارته على كل جسدها لتبقى إلى النهاية، انتهى الجزء العلوي وجاءت اللحظة الحاسمة، أغلقت ساقيها قدر ما استطاعت ليقف أمامها ويحاول اقتحامها، هي واثقة أن عضله تلك المكان قوية للغاية وستصمد معها، فشلت محاولاته في اقتحام ساقيها فلجأ للعنف، صفعها عدة صفعات على وجهها لتبكي وتصرخ وتتلوى تحته، انتشرت صفعاته على جسدها

كله، حتى شعرها لم يتركه في حاله بل جذبه ولفه على يده!

حاولت بكل قوه لازالت لديها أن تمنعه حتى بلسانها بأن تذكره بربه وعذاب الآخرة، وأنها لن تسامحه مهما حدث ولكن لمن تتحدث وفي أي موقف!

كلما صفع يحمر جسدها وتنهار جزء من مقاومتها، زاد أكثر وأكثر وقام من عليها ثم حاول فتح ساقيها بنفسه وبضربه إلى أن استسلمت شروق التي تجري الدماء في وجهها الآن!

اخترق حصنها المنيع وسلمت لذلك العدوان مما أوقع كل دفاعتها الجسدية منها والنفسية لتطلب الموت من خالقها والذي لم يتأخر كثيرًا خاصة بعد النزيف الذي أحدثه لها ذلك المعتوه.

آخر ما عاشته في هذه الدنيا هو الألم والإكراه، لماذا وعلى أي أساس لا تعرف، هي لم تغرِه، لم تحاول إثارته بملابسها أو شكلها، ترددت في مسامعها كل كلمة تبرير تقال بحق من سبقوها أو ستقال بحقها هي شخصيًا، كل ما تراه الآن هو ضحكة معتديها بعد أن أنهى ما بدأه ثم رمى بها إلى الصحراء بعد أن تركها بدون ملابس بدون هاتف بدون أي شيء، فقط هي والألم والدماء، لم تستطع الصمود أكثر من ذلك، جاءت رحمة ربها وماتت شروق مغتصبة مسروقة ملقاة في الصحراء بلا سبب!

*****

جاء الليل ولا شيء جديد، عاد إيهاب بمعلومة واحدة قد رآها في كاميرات أمن الكلية وهي أن شروق قد استقلت تاكسي من أمام البوابة، الشيء الذي أكد للجميع أنها في عداد المفقودين الآن، يا ليتها تكون مفقودة فقط وليست إضافة جديدة للأموات!

هكذا رددها إيهاب في نفسه ولم يصرح بالطبع أمام شيرين التي تدعي التمسك بأقصى قوة لديها ولكنه يعلم جيدًا الحروب التي تدور بداخلها.

-إحنا لازم نوصل للآخر مكان كانت فيه قبل ما الموبايل يتقفل

قالتها شيرين لإيهاب وسالي الذين أكدوا على كلامها ثم قال إيهاب:

دا لازم بإذن من الشرطة ومش على طول بيحصل ولا نقدر عليه

تدخلت سالي مسرعة: لا، أنا أعرف صاحب بابا رتبة كبيرة في الشرطة أكيد يقدر يساعدنا في ده

-اتصلي بيه بسرعة يا سالي

قالها إيهاب بينما وقفت شيرين تفكر في شيء خفي عنهم يخافون منه خاصًة مع حالتها المضطربة ولكن لم يجرؤ أحدهم على سؤالها فقط كان كل منهم يحاول في طريقه مع انتظار تعليق منها والذي خرج بجملة واحدة " هننزل ندور في المستشفيات "

إلتفت إيهاب نحو سالي متسائلاً هل فعلاً يفعلوا ذلك، أجابته بعينيها أن لا مفر من ذلك لا إعتراض على أي شيء أمامها الآن!

نزلت شيرين مع إيهاب بينما ظلت سالي تتحدث مع أبيها ليروا ما يمكنهم فعله.

كانت تعلم أنها جولة لا فائدة منها مثلما حدث مع والديها، لكن شيء داخلها كان لا يريد الاستسلام كان هناك أمل ضعيف أن تكون أختها في إحدى المستشفيات، ولكن انتصر المنطق بعد عدة ساعات ولم يجدوها.

أصبحوا في منتصف الليل وكل إجراء قانوني ممكن لن يحدث قبل مرور أربع وعشرون ساعة، جاءت زوجه إيهاب بطعام لهم، رفضت شيرين رفضًا قاطعًا تناول شيء حتى لو كان شربه مياه، لم يضغط عليها أحد ولن يضغطوا خوفًا من الانفجار الوشيك

تحدثت إليهم سالي بعدما جاءها إتصال من والدها لتخبرهم قائلة:

-صاحب بابا هيساعدنا، هنقدر نوصل لمكان الموبايل لكن لازم نمشي قانوني ونعمل محضر اختفاء

اومأت شيرين ثم تركتهم لتجلس بمفردها، أمسكت هاتفها ودخلت على أحد مواقع التواصل، تنتظر بتوجس منشور آخر عن وجود جثة أختها للتعرف عليها، ولكن حتى هذا لم يحدث، راجعت كل شيء ولكن بلا جدوى

مر الوقت ليقف أمامها إيهاب قائلاً: إحنا هنمشي دلوقتي يا بنتي محتاج أريح شوية وانتي كمان لازم تنامي محدش عارف بكره فيه إيه

اكتفت شيرين بإيماءة بسيطة فأكمل: مش محتاجه مني حاجه؟

هزت رأسها نفيًا فربت على كتفها بحنان ثم غادرهم وزوجته بعد أن أوصى سالي أن تبقى معها وتقنعها بالنوم

وبعد خروجهم وقفت سالي أمامها: يلا ندخل نريح شوية يا حبيبتي

-عايزه افضل هنا

-عشان خاطري يا شيرين لازم تفصلي ولو ساعة دا مش هيحل أي حاجه

-عايزه أفضل هنا!

وقفت سالي أمامها لدقائق وأمام التكرار والتصميم اضطرت لتركها بمفردها دخلت إلى فراش صديقتها الغائبة وأطلقت لدموعها العنان، طوال اليوم تتماسك فقط من أجل شيرين لكن هي الآن بمفردها، كل ما حدث لا يبشر بأي خير، فقط كل ما تتمناه أن تكون مجرد حادثة وفقدت الوعي، ما أصعب أن تصل لدرجة تمني شيء سيء لحبيب لك بمبدأ " قضى أخف من قضى"!

*****

انتظروا لمنتصف اليوم التالي وذهبوا لتحرير محضر اختفاء في أقرب قسم شرطة لهم، كانوا يعلمون أنه مجرد اجراء روتيني ولن يتحركوا بإهتمام سوى بواسطة أو تدخل رتبة كبيرة، ولكنه مهم فقط في إجراءات الكشف عن هاتفها وموقعه، أخذوا رقم المحضر

واتصلت سالي فورًا بوالدها تبلغه وعادوا جميعًا إلى المنزل في انتظار ما سيحدث، مرت ساعات على شيرين وكأن كل ساعة دهر بمفردها، الانتظار شيء قاتل خاصَّة لو كان انتظار لمصيبة متأكد من حدوثها لكن لا يزال يراودك الأمل الكاذب نحوها!

انتفضوا جميعًا على رنين هاتف سالي، أجابت فورًا وفتحت الميكروفون بناءً على إشارة شيرين

-قدرنا نوصل لآخر مكان كانت فيه، أول الطريق الصحراوي بجوار مول... التجاري، هكلم القسم وأخليهم يطلعوا لاستكشاف المكان حالاً

قبل أن تنطق سالي تدخلت شيرين قائلة: ينفع نروح معاهم؟

-لا، هبلغك بالتفاصيل لما توصلني

اكتفى صديق والدها بذلك وأنهى المكالمة، هي لم تصدق أنه حدثها بنفسه من الأساس ستشكره على ذلك لاحقًا، إلتفتت نحو شيرين التي لم تهدأ من وقتها ظلت تذهب وتعود في الغرفة بتوتر انتقل لهم جميعًا، لكن أبدًا لم يجرؤ أحدهم على قول شيء، لا شيء أمامهم كلهم سوى الانتظار

مر الوقت حتى جاء اتصاله ليبلغهم بأن الشرطة قد وجدت جثة لفتاه بنفس المواصفات ملقاه في آخر مكان سجل فيه الهاتف والفريق بالكامل هُناك الآن لرفع مُلابسات الحادث

تقدروا تروحوا المشرحة الصبح تتأكدوا من الجثة!

الجميع سمع الكلام ولكنهم ظلت نظراتهم تدور بينهم كلٍ يتفحص وجه الآخرلعل أحدٍ منهم يُكذب ما سمعوا، توقف كل شيء من حولها الجملة تتردد في بالها تخترق عقلها تشعر بأن هُناك صدى صوت يعيد في الكلام، توقعت أن ذلك سيحدث، كل شيء يشير ويؤكد لكن قلبها تمنى كثيرًا

ألا يحدث، التأكد من الجثة اجراء روتيني لن يقدم أو يؤخر، لقد ماتت شروق، لحقت بوالديها بسرعة جدًا بسرعة حتى لم تعطها فرصة لتودعها وتشبع من وجودها

اقتربت منها سالي تبحث عن أي رد فعل في صفحة وجهها ولكنها لم تجد!

*****

في الصباح وقفت أمام المشرحة للمرة الثانية في عمرها، هذه المرة لن تقف بالخارج وأختها الشجاعة تدخل، هذه المرة هي بمفردها أمام الدنيا وليست المشرحة فقط!

دخلت وتأكدت بأنها شروق ثم خرجت لتقابلهم بأعين جامدة وكلمة واحدة " هي " انهارت سالي لم تفكر في شيء ولم تستطع التماسك أكثر من ذلك، صديقتها الأقرب لقلبها ماتت!

وكأن أحدهم أمسك ببحر من الحزن وصبه في قلبها صبًا، أحست بأنفاسها تتوقف والعالم يدور من حولها، ثم وقعت أرضًا في إغماءة

أجبرها عليها عقلها، شعورها الآن طاغ فوق قدرتها على التحمل، لا بأس من بعض الهروب.

مال إيهاب فورًا ليحملها وخلفه ممرضة قد لمحتها تنهار، أما شيرين وقفت تتابع الموقف، كعرض فيلم أمامها، حتى الأفلام كانت تؤثر في مشاعرها حد البكاء، أما الواقع الذي يحدث الآن يمر على قلبها مرور الماء، يطفأ كل ما حوله!

نقلوها إلى غرفة واستدعوا طبيب لها، بينما غادرتهم شيرين نحو المنزل!

لم يشعر بها أحد فقط انسحبت، عادت إلى غرفتها وتسللت إلى فراش أختها لفت نفسها في غطائها الممتلئ برائحتها ثم أغمضت عينيها وراحت في النوم!

نوم عميق أكدت لنفسها أنها ستفيق منه على صوت ضحكة أختها في الدنيا، ستفيق وتتأكد أن كل ما حدث مجرد كابوس من كوابيسها السيئة!

*****

خرج التقرير الشرعي بالمتوقع، اغتصاب أدى لحدوث نزيف ثم الموت، كتب الطبيب ملحوظة بأنها لم تأخذ وقت كبير ثم ماتت.

هذه الملحوظة أكدت لها أن اختها لم تمت من الاغتصاب فحسب، لا هي ماتت بسبب كشف سترها التي عاشت عمرها كله تحافظ عليه

سواء بالمظهر الخارجي أو من داخلها، هي لم تتحمل فكرة العيش بعد ما حدث فيها ومواجهه المجتمع الذي يجد مبرر للمغتصب في كل مرة، ستعيش عمرها كله بالعار، لذلك كانت متأكدة أن الموت رحمة من خالقها واختيار وتوسل من شروق!

رفضت شيرين أن تتقبل العزاء فيها، رفضت حتى تواجد الجيران أو الأصدقاء معها، في هذه الحالة لا يقُبل عزاء، هناك أشياء أخرى تتم أولاً!

أفاقت من أفكارها على رنين هاتفها لتجده رقم غير مسجل، تجاهلته ولكن مع الإصرار أجابت لتسمع صوت تعرفه جيدًا كان آخر صوت في الكون كله تود سماعه في هذه اللحظة، أخذت القرار بأن تنهي المكالمة قبل أن تبدأ استوقفها عمها قائلاً بحزن متأكدة أنه نفاقًا: البقاء لله يا بنت أخويا، أنا مكنتش عايز أعرف من الغُرب لكن مفيش عتاب، لو كنتوا سمعتوا كلامي وجيتوا تعيشوا معايا كان زمانكم في حمايتنا ومحدش قدر يقرب منكم، لكن هقول إيه العند يولد الكُفر

عايزك تراجعي نفسك وتيجي بيت عمك وتعيشي وسط أهلك أحسن ما يجرالك اللي جرا لأختك

الشماته! كل ما استشعرته في حديثه كان فقط الشماته، يشمت في ابنه أخيه، يغلف طمعه في الورث بخوف زائف، أنهت المكالمة بدون أي كلمة، وتوجهت إلى فراش أختها ككل ليلة تلتمس وجودها من آخر ما

تبقى منها وهي رائحتها، تفكر في تقرير الطب الشرعي الذي حفظته عن ظهر قلب، المجرم لم يترك خلفه أي دليل كبير يوصلهم إليه، حتى سائله قد منعه ولم يجدوا له أثر!

كل ذلك أكد لها أنه مجرم متمرس معتاد على ذلك يعلم ما يفعله جيدًا

الإجراءات القانونية كلها مع إيهاب خاصَّة بعد توكيلها له ولكنها تعرف أن القضية ستؤيد ضد مجهول، هل شروق المُغتصبة الوحيدة في بلدها؟ بالطبع لا لكن ليس هُناك رادع لمغتصب أو متحرش أو متعدي لفظيًا حتى والمجتمع يقف في صفه ويلقي اللوم على الفتاه، لقد رأت بعينيها تعليق من الكثيرين على خبر قضية أختها بأنها بالتأكيد أثارته بملابسها أو أنه لا يوجد اغتصاب من الأساس هي استسلمت واستمتعت بذلك!

نعم هناك من قال ذلك، تريد فقط لو تذهب إليه لترى أن ما فوق رأسه هو عقل يفكر ويعقل، تتمنى من كل قلبها بأن يحدث ما حدث لأختها لكل مُبرر لذلك الفعل البشع.

*****

كما توقعت تم حفظ القضية ضد مجهول لعدم وجود أدلة كافية، عرفت الخبر من إيهاب أنهت المكالمة وتحققت من هاتفها، كان هناك رسائل عديدة من أعمامها بها نفس الكلام في محاولة منهم للضغط

عليها بالعودة لهم، ابتسمت ساخرة وتجاهلت الرسائل، استقلت حافلة إلى مقابر المدينة والتي صممت على دفن أختها بها وليس في بلدتهم، ساعدها إيهاب في ذلك وقرر استضافة شروق في مقابر عائلته الخاصة، وقفت أمام قبرها، تقرأ شاهد القبر لعدة مرات تحاول التأكد من أنه بالفعل قبر أختها، الدليل الوحيد على موتها الذي ترفضه ليلاً ونهارًا، توقف عقلها عن الاستيعاب أو هي لا تريد له أن يستوعب ذلك الأمر، الآن تقف أمام أختها لأول مرة في حياتها ولا تراها أو تسرع نحوها تفتح ذراعيها لتحتضنها، تقف وهُناك فاصل برزخي لا تراها ولكنهم يؤكدون أن أختها الآن تراها!

لا تستطيع منع رغبة نبش هذا القبر والدخول فيه والنوم بجانبها حتى تنتقل معها إلى ذلك العالم الذي ذهبت فيه وتركتها بلا رجعه

لعلها تقتنع بموتها عندما تراها مرة أخرى!

كانت تستجدي دموعها لتنزل، لعلها تطفأ بعض من مشاعرها المحترقة لعلها ترحمها ولو قليلاً، ولكن لا شيء وكأنها خلقت بدون دموع.

تنهدت ثم رفعت يدها لتلمس القبر، اقتربت منه أكثر وهمست فيه وكأنها تهمس في آذان أختها " أقسم بالله ما هسيب حقك لحد ما أموت "

*****

وقفت أمام إيهاب الباكي وزوجته الحزينة بعد ما عرفوا بخبر سفرها المفاجئ لخالتها الموجودة ببلدٍ بعيدة، تفحصت وجوههم كلها صفا ونقاء ومشاعر حقيقية، بالفعل هم تأثروا بذلك الخبر حتى عندما أخبرتهم أنه مؤقتًا لفترة

على الرغم من جمودها في الفترة الماضية لكنها اقتربت منهم واحتضنتهم حضن تستشعر فيه آخر لحظات آمان وحنان لها في الدنيا!

تركت كل شيء مع إيهاب حتى مفتاح المنزل وحتى الحراس تركت لهم المال لحين عودتها. سحبت حقيبتها واستقلت سيارة إلى وجهتها التي حاربت نفسها كثيرًا لكي لا تقترب منها ولكن لا مفر

كانت السيارة متجهه نحو بلدتها المتواجد فيها أعمامها!

كان الوقت متأخرًا على تلك الطرقات التي يسمعها ولكنه تحرك ناحية الباب لينزل ويفتح بوابة المنزل بنفسه، وجدها تقف أمامه ملتحفه بالسواد من رأسها حتى قدميها حتى عينيها تختفي وراء النقاب!

-الحاجه مش موجودة انهارده عند أهلها

هكذا أخبرها قبل أن يعرف سبب مجيئها خرج صوتها من تحت كل هذا قائلة: منا عارفه يا عمو أنا شيرين

تراجع متعجبًا يراجعها بعينيه، كيف تكون شيرين التي لا ترتدي الحجاب حتى، ابتسمت تحت النقاب ابتسامة لم يراها ثم قالت:

باركلي مش كده أحسن؟

لا زال في تعجبه ولكنه أجابها: طبعا يا بنتي هو فيه أحسن من الستر إيه اللي جايبك متأخر كده تعالي ادخلي

دخل وهي خلفه لتجيبه: لحد ما اشتريت اللبس الوقت اتأخر ومكنش فيه مواصلات

صعدوا نحو الشقة لم ترفع نقابها فقط قالت له: أنا سمعت كلامك وجيت بنفسي وهعيش معاكم أنا خايفه أعيش لوحدي

جلس على الأريكة ورفع ساقه على الأخرى بغرور وابتسامة انتصار ميزتها جيدًا

-والبيت؟ هنبيعه زي ما قولتلك؟

-أنا هعملك توكيل واتصرف زي ما تشوف يا عمو بس خليني وسطكم لمعت عيناه بطمع واضح، تكاد تقسم أنها رأت لسانه يتحرك على شفتيه مثل الذئب الجائع!

أكمل حديثه قائلاً: طب ما كان من الأول يا بنت أخويا ولا كان لازم أختك تموت عشان تعقلي

ابتسمت شيرين ثم أمسكت بحقيبتها فتحتها وأخرجت سكين منها لتطعنه بها في منتصف بطنه بسرعة لم يدركها

شهق وجحظت عيناه من الألم، شدت بيدها على السكين وحركتها بداخله بحركة دائرية وكأنها تستأصل شيء خفي من معدته

-صح هي كان لازم تموت عارف ليه؟ عشان أنت كمان تموت وراها أكيد اخوك اللي صونت لحمه ودمه وحشك وأنا هبعتك له مجانًا بس للأسف حتى هناك مش هتشوفه عشان مكانك في الجحيم محجوز

شدت أكثر على السكين وهي تتحدث، كان يصرخ تحت يدها، شلته صدمه فعلها والألم الشديد فلم يتحرك أو يدافع عن نفسه، سحبت السكين بسرعة انسحبت لها روحه، ثم أعادته بنفس السرعة في قلبه لتنفجر الدماء ولكنها لم تدنس وجهها فقد كان أحد أسبابها في ارتداء النقاب ألا يلمسها والسبب الأهم ألا يتعرف عليها أحد من أهل البلدة، اختارت وقت القتل بعناية، في نهاية الشهر تذهب زوجته وأولاده إلى والدتها في بلد ثانية ويبقى وحده في المنزل، سحبت السكين ونظفته من الدماء بملابسه ثم أعادته إلى حقيبتها وخرجت بهدوء بعد أن ألقت نظرة انتصار على جثته

*****

أحس بحركة داخل غرفته، تقلب في فراشه وجلس نصف جلسه ليرى ماذا يحدث، الظلام يعيق الرؤية لكنه ميزها وانتفض لرؤيتها بهذا السواد تقف أمام فراشه

-بسم الله الرحمن الرحيم، إيه يا شيرين واقفه عندك كده ليه ولسه لابسه النقاب الغريب دا ليه هو فيه حد غريب دا أنا عمك!

لم تجيبه تركته يتحدث وتحركت هي في هدوء تلقي بسائل في الغرفة

وحول الفراش الذي كان يقبع في منتصفها، استشعر رائحة السائل الغريب: إيه دا زي ما تكون ريحه جاز بتعملي ايه!

وقبل أن يدرك أو يتحرك أشعلت الثقاب ورمت به لتنتشر النيران بسرعة فائقة في المكان، لم يمكن جاز ولكنه سائل سريع الاشتعال اختارته بعنايه

خرجت من الغرفة مسرعة وتركته مشتعل حيًا يسمعها صراخٍ لم تسمعه في حياتها من قبل، ضحكت بصوت مرتفع وقالت له: يلا مبروك عليك بروفا الجحيم

فتحت أنبوبة الغاز الموجوده بالمطبخ وكانت من قبلها قد أغلقت كل نوافذ المنزل ثم غادرت مسرعة تلاحقها صراخه، غادرت المنزل وبعدها بوقت قليل جدًا سمعت صوت الانفجار التي كانت تنتظره!

كان منزل عمها الأصغر متطرفًا قابعًا وسط أرضٍ زراعية، إلى أن يشعر به أحدٍ سيكون قد تفحم في الجحيم، غياب أهل منزله سهل عليها الكثير جدًا، كانت فرصة ذهبية لها، لم تشعر بأسف سوى على جدتها الطيبة، الآن مات لها ثلاث من أبناءها، لكنها لن تتعذب كثيرًا فقط عندما تعلم ذلك ستموت بالسكتة القلبية وبذلك تكون قد حققت لها تذكرة مجانية إلى الجنة.

*****

عادت إلى مدينتها في الصباح الباكر، وقفت تحت البناية الجديدة

التي ستسكنها، اختارت المكان بعناية، هادئ بلا حارس أمن أو بواب بلا جيران فضولية ودور علوي فردي لها فقط، استأجرتها بمبلغ مضاعف لكي تغري المستأجر بأن يتركها لها بدون اسئلة، المكان المثالي لما ستقدم عليه!

دخلت الشقة كانت ذات فرش بسيط ولكنه يوفر لها الاحتياجات الأساسية، أمسكت حقيبتها لتفتحها وتخرج السكين وتضعه بعناية في خزانه ملابسها، ستحتفظ به كميدالية شرف لما فعلته به لتتذكر دائمًا أن البداية كانت منه!

تخلصت من ملابسها ووقفت تحت الماء الدافئ تستمتع به وبشعور الراحة الذي يملئها الآن.

*****

في اليوم التالي وقفت أمام بوابة الجامعة آخر مكان تواجدت به شروق، ثم أشارت لتاكسي كي يقلها في نفس الطريق، كانت ترتدي ملابس أختها والتي لا تعلم كيف ستغريه بها، لا تكشف ولا تفصل شيء من جسدها، هل الوجه أصبح مثيرًا هذه الأيام؟ هذا بمنطق من يبرر التحرش والإغتصاب بإلصاق التهمة في الفتيات حتى الملتزمة في نظرهم.

جلست تراقبه في صمت لعلها تلمح خيط بداية تستند إليه في فعلتها، كان الطريق الذي اختارته بعيدًا قد درسته جيدًا وخمنت كيف خطف

السائق أختها وألقى بها في الصحراء، لكن كيف تجعله يفعل بها ذلك!

فاجأها بالحديث قائلاً: انتي بقى في سنة كام يا دكتوره؟

انتظرت لثوان حتى أجابته: لسه في سنة أولى

-ياه مشوارك بدري عليه، لو اتقدملك عريس دلوقتي توافقي؟

تعجبت من سؤاله وسألته: عريس إيه؟

-عريس، راجل عادي، أنا مثلا

ضحكت شيرين ثم قالت: سوري مفهمتش في الأول، للأسف بابا مش بيوافق عشان لسه صغيرة

-يا خسارة، كده ضاع مني واحدة زي القمر زيك كده

تصنعت الخجل مبتسمة، مفكرة أن هذا هو بداية الخيط وعليها استغلاله جيدًا ولكن كيف؟!

ساد الصمت المتوتر من ناحيتها والمستمتع بإختلاس النظر من ناحيته حتى واتتها الفكرة أخيرًا، مالت بجسدها للخلف ثم أمسكت هاتفها وتحدثت إلى شخص وهمي تخبره أنها لا تعرف الطريق أو أين هي الآن، راقبت ابتسامته بطرف عينيها وأحست أنها اقتربت من مرادها، بدأ يأخذ راحته في السيارة أكثر وتجرأت نظراته عليها، كانت دقات قلبها تتسارع كلما اقتربت من الطريق الذي تريده، هي الآن مقبله على خطف وقتل إنسان لذلك تريد تأكيد أكثر على قذارته حتى تخمد أي ذرة تعقل لديها، مالت بجسدها ورمت بيدها ناحيته

لتلمس يده التي تمسك عجله القيادة ثم تصنعت الأسف ليقابلها بإبتسامة واسعة قائلاً: ولا يهمك يا جميل

أغمضت عينيها لتعطيه الفرصة كالطعم وبالفعل بدأ في الاستجابة بتلامس لم تعترض عليه، تريد أن تعطيه الشعور بالأمان حتى يثق ثم تسحبه منه سحب الروح من الجسد، ما أصعب أن تظن أنك الصياد ثم تدرك أنك لم تخرج أبدًا من كونك ضحية!

ولكن هُنا هو ليس بضحية، هو الجاني وهي الجلاد، الجلاد الذي سيأخذ بثأر أختها والفتيات منه ومن أمثاله ومن وقع على شاكلته.

وصلوا إلى الطريق الموازي للطريق الصحراوي الذي درسته وعرفته جيدًا، الآن كيف تقنعه بأن يأخذها إليه لكي تنفذ خطتها!

-ياه الطرق زحمة جدًا وأنا اتأخرت مينفعش نشوف طريق تاني؟

-ينفع طبعا ممكن نختصر من تحت الكوبري

-ودا هيطلعنا على فين؟

-هنمشي شوية ونخرج على الطريق اللي اختارتيه

تفحصت جسده بوقاحة قدر ما استطاعت وتمنت كثيرًا أن يكون هذا كافيًا لتمشي الخطة كما رسمتها ويتفهم أنها صيد سهل وبسيط!

مر الوقت ليدخل من الاختصار والذي لم يكن سوى طريق في المنتصف يؤدي نحو الطريق الصحراوي والموجود في بدايته أحد " المولات " التجارية الشهيرة، كان طريق معتاد للناس ولكن ليس من

هذه الناحية، انتظرت أكثر حتى أصبح جميع ما حولها بالأصفر ثم سألته ببراءة ذئب: هو احنا كده فين؟

أوقف السيارة فورًا ثم إلتفتت ناحيتها قائلاً: إحنا لوحدنا يا قمر

-أنت عايز إيه!

لمعت عيناه وحرك شفاهه في حركة مثيرة بالنسبة له مقززة لها قائلاً: لا مش أنا اللي عايز انتي من ساعتها بتشاغليني وأنا تحت أمرك، ها؟ وعند هذه الجملة رفع يده نحو وجهها ليلمسها، ارتعد جسدها واقشعر، ارتدت نحو الخلف وأخرجت السكين فورًا لتطعنه به فتقابلها شهقة مصدومة منه!

عاجلته بضربة ثانية وثالثة وعاشرة حتى لفظ أنفاسه تماما،

جلست تراقبه بخوف، عينيه الجاحظة والدم السائل من جسده المفتوح الآن من كثره الطعنات، منذ ثوان كان يتنفس والآن هي ساهمت في زيادة تعداد الموت، لعلك تكون في الجحيم الآن تتحرش بنفسك هنُاك! نفضت عن نفسها أي أفكار ثم خرجت من السيارة لتغادر وتتركه، ولكنها توقفت للحظة، كيف ستصل إلى السكن والمكان بعيد عن هُنا؟! ليس هُناك حلول أخرى سوى الذي تفكر فيه، وضعت السكين في حقيبة يدها ثم نزلت، دارت حول السيارة ووقفت أمام عجلة القيادة، وبدأت في شده وسحبه خارجها، لحسن حظها أنه لم يكن وزنه كبيرًا فسهل عليها إخراجه ورميه خارج السيارة، مسحت كل دليل ممكن ثم

استقلتها لتعود من حيث أتت!

*****

وقفت في معرض السيارات تختار سيارة جديدة تحتاجها للفترة القادمة خاصَّة بعد حادث والديها والذي حول سيارتهم الجميلة إلى خردة لا نفع منها الآن، وحتى تصلح ذلك تحتاج للظهور مجددًا وإجراءات كثيرة ليس لها طاقة الآن، ممتنة جدًا لوالدها الذي ترك لها حساب مالي كبير تستطيع به شراء سيارة جيدة النوع، اختارتها سوداء كحياتها في الفترة الأخيرة وقراراتها القادمة

عادت إلى شقتها، وقفت تراقب المنضدة التي وضعت عليها السكاكين التي استخدمتها، كل شخص له سكينة منفردة، لعمها ولسائق التاكسي، فكرت لو أنها كانت قد قتلت عمها الأصغر بسكين لكانت وصلت إلى عدد فردي الآن فهي تكره الأعداد الزوجية جدًا، صبرًا سنجعلهم ثلاثا.

دخلت إلى فراشها فتحت هاتفها وجلست تتابع الأخبار لتتسع ابتسامتها عندما قابلت خبر حادثة الأخوين الذين وجودوا قتلى بطرق مختلفة ولكن في ذات الليلة، وتحريات الشرطة التي خمنت أن الفاعل واحد والدافع هو الانتقام، ضحكت لنفسها هذا هو ما تستطيع الشرطة الوصول إليه في بلدها، وستقيد القضية ضد مجهول كما فعلوا مع أختها، أكملت المقال لتصدم عينيها بخبر وفاه أم القتلى

صدمةً وحزنًا عليهم، كما توقعت ما سيحدث مع جدتها، لا يهم الجنة ستكون مكانها وهذا أفضل حل لمعانتها

لكن الآن جاء دورها، ستأخذ إجازة من مهمتها وتذهب حتى تبعد أي شكوك قد تقترب منها.

*****

دخلت إلى العزاء والذي كان ضخمًا ومتسعًا حتى الجزء الخاص بالنساء كان كذلك بعكس الطبيعي، بالطبع فالحادثة ليست طبيعية ثلاث أفراد من عائلة واحدة وقبلهم الفرد الرابع، بالطبع كل البلدة ستكون هُناك تدعم وتساند كعادتهم.

دخلت واستقبلها العديد من النسوة معزيين في أبيها وأعمامها ونسوا أختها بالطبع لم يصرح أعمامها بموتها فذلك فضحية في عُرفهم حتى لو كانت هي الضحية!

تجدد الحزن بداخلها ولكنها قاومت هذا الشعور، وصلت إلى زوجات عمها اللائي جلسن يندبن حظهن وما حدث في حياتهن فجأه، قدمت التعازي حتى وقفت أمامها عمتها الصغيرة " هانم " بأعين غاضبة تكاد سهام نظراتها ترديها مقتولة ونبرة صوت حادة تسألها: جاية هنا ليه!

أمسكت شيرين انفراجة ابتسامتها لهذا الشعور الغاضب والمصدوم الذي يملأ قلب عمتها، هذا هو حقًا ما قصدته أن يشعروا بما شعرت

به، أن يحترقوا بالنار التي أشعلوها فيها عندما جاءوا ليغتصبوا حقها وحق أختها وتجاهلوا تمامًا حزنهما على والديهما، اقتربت منها شيرين ومدت يدها قائلة: جاية أعزي فِي عيلتي يا عمتي!

صرخت هانم فِي وجهها: لا، جاية تشمتي بعد اللي عملتيه فينا، مبسوطة خلاص أهم راحوا كلهم راحوا..

وقفت شيرين هادئة، بينما كانت هانم تفور كالبركان أمامها تصرخ وتلطم وجهها حتى قامت أختها الكبيرة فاطمة لتصفعها حتى تفيق وتصمت، قالت لها: بلاش فضايح اطلعي فوق دلوقتي!

إلتفتت نحو ابنتها بنظرة واحدة فهمتها، سحبت خالتها من يدها وصعدت بها إلى الأعلى، اقتربت فاطمة من شيرين واحتضنتها معزيه لها ولنفسها بالكارثة التي نزلت بهم، استجابت شيرين وجلست بجوارها لتتقبل التعازي، ذلك الحضن لم يكن أكثر من تمثيل أمام أعين النساء الفضولية، بالطبع لم يكن يحدث كل ذلك من أعمامها وأختهم بدون علم كبيرتهم " فاطمة " إن لم تكن هي المحرض الرئيسي للموقف!

جلست شيرين حتى نهاية العزاء واختفاء الناس، لم يتبق سواها وعائلتها، اقتربت شيرين من عمتها وهمست لها بأنها ستغادر الآن، كادت فاطمة أن تصدر رفضًا قطعيًا ولكن قطعت عليها شيرين الطريق قائلة: لازم أسافر عشان شغلي وأكيد هرجع تاني عشان نتفق

على كل حاجه

كان الطريق ليس قصيرًا والليل يحيط بها، قبل ذلك كانت تخشى الطرق ليلاً أما الآن ليس لديها ما تخشاه حتى الموت أصبحت مرحبه به في أي وقت.

عادت إلى شقتها في ساعة متأخرة، قررت أن تضع نفسها تحت الماء الدافئ لكي تقرر وتدرس ضربتها القادمة!

في الصباح، قررت تغيير المكان هذه المرة خاصًة بعدما تفحصت جميع الصحف اليومية لترى إكتشفوا الجثة أم لم يصلوا إلى الآن، لكي تكون في الجانب الآمن ستغير وجهتها ووقتها أيضًا، الليل ساتر، ويعطيها فرصة أسرع لتصيدهم فهم ينشطون في الليل أكثر، قررت فقط أن تنزل لتتأكد من الطريق الذي اختارته وتضع سيارتها في مكان آمن لتستقلها في العودة بعد أن تنهي مهمتها، وعندما انتهت من كل ذلك قررت أن تقضي ما تبقى من يومها في مشاهدة فيلم ما، واستقر مزاجها على فيلم مثير عن قضية قتل، لم تعد تميل للدراما والرومانسية، الآن أصبح الدم يريح أعصابها ولعلها تخرج بفكرة جديدة تساعدها في مشوارها!

وقبل أن تنشغل بالفيلم اتصلت على الشخص الوحيد الذي لازالت تهتم لوجوده " إيهاب " لكي تطمئنه عليها وتطمئن على منزلها.

أخبرها بكل التفاصيل وتعجب من تغيير رقمها وقلقه عليها كلما

اتصل ووجد الهاتف مغلقًا، أنهت المكالمة بعد وعد منها ألا تغيب أو تبدل رقمها مرة أخرى

عادت إلى الفيلم تضيع وقت حتى مجيء الليل.

لم ترتد ملابس أختها هذه المرة، اختارت أن تكون هي كما هي، أوقفت " التاكسي " جلست بجواره بعد أن اختارت الجهة المقابلة من المدينة والتي كانت نائيه أيضًا، كان عطرها قد فاح عبيره في السيارة بأكملها حتى أنه شعر بالإختناق فتح النافذه، أحست بذلك فإعتذرت له وأجابها بكلمات مقتضبه لم يفتح بها حديث أو يستغلها كعادتهم، انتظرت كثيرًا للإشارة التي ستجعلها تشقه بسكينها الجديد الذي جهزته خصيصًا له، لكن لا شيء!

لا حوار لا تحرش ولو لفظي حتى نظراته كانت في الطريق فقط!

تأكدت من ذلك بطرف عينيها كما تفعل حتى أنها قررت الإلتفات نحوه، ملتزم فقط بعجله قيادته، على الرغم من أنها بملابسها وشعرها الآن فرصة سانحه لكل أنواع التعدي

انتظرت حتى وصلوا للطريق النائي، فتح إضاءة السيارة الداخلية حتى لا تخاف من الظلام والصمت!

لا!

مستحيل هو حقًا لا يفعل ذلك

كيف؟

انتظرت بصبر حتى نهاية الطريق حتى أنها حاولت فتح حوار معه بعد أن أجرت اتصالها الوهمي بأنها لا تعرف الطريق لكن لا إستجابة لا شيء على الإطلاق

لتتأكد أنه حصن منيع ضد كل الإغراءات التي ظنت أن كل الرجال تنتظرها أو حتى لا تنتظرها وتقرر إغتصاب الفرصة وصاحبتها كما فُعل بأختها!

أوصلها للمكان الذي لا أحدٍ به سواهم وسيارة وأخرى تمر بسرعة بجوارهم، بهدوء أخبرها عن أجرته وانتظرها بأدب حتى خرجت من السيارة ولم يرفع عينيه فيها حتى

اختفت من أمامه نحو سيارتها التي كانت قد تركتها في مكان قريب منذ الصباح

جلست قليلاً أمام عجله القيادة، مصدومة، مشتتة فيما حدث، هذا الموقف قلب كل الموازين داخلها

لازال هناك رجال محترمة، رجال تختار السيطرة على شهوتها مهما كان الإغراءات والفرص أمامها، كانت قد نست وجودهم خاصًة بعد وفاه الرجل الجيد الوحيد في حياتها، ومن بعده إيهاب والذي وضعته في خانة معجزات هذا الزمن!

لكن لا، هي لازالت عند وجهه نظرها، الأصل عند الرجل، التحكم يبدأ منه، إما السيطرة على شهواته أو الإنسياق خلفها لاهث كحيوان

جائع لا عقل له

ستغير الخطة فقط، القتل سيصبح لمن يستحقه، لمن يتجرأ عليها بدون وجه حق، حتى أنها لن تساعده بالإغراء مثلما فعلت اليوم، فقط من يظهر لها أول إشارة، ستترك كل شيء، ستتركه يختار مصيره بنفسه، إما مثل هذا السائق، أو مثل الأغلبية مما قابلتهم!

انطلقت بالسيارة وعادت إلى شقتها، راقبت منضدة السكاكين والتي لم تزيد اليوم لكنها لن تظل هكذا كثيرًا، ما أكثر المعتدين المغتصبين في مجتمعها خاصًة مع وجود التبرير لهم وإلقاء اللوم الكامل على الفتاة، ستبطل الحجة وتتأكد بنفسها.

جلست بجواره هادئة ساكنة لم تتفوه بشيء هذه المرة، الآن هي بحجاب بعد أن قررت تغطيه شعرها اليوم، اختارت نفس طريق الأمس، كانت متوتره تنتظر نتيجة اليوم كنتيجة الثانوية العامة، وفي الخلفية كانت هناك أغاني شعبية " مهرجانات " مشغله على شاشة صغيرة يلتفت لها السائق بين حين وآخر، يراقب الشباب التي تتحرك كالمجذوبين وأمامهم راقصة تتمايل بإغراء مقزز للعين، إلتفت نحوها قائلة: شايفه يا آنسه البت بترقص ازاي وجسمها كله باين حاجه أستغفر الله

ابتسمت ساخرة "ولما هو استغفر الله بتتفرج عليها ليه!" ولكنها احتفظت بالجملة لنفسها وقررت مجاراته: أيوه فعلاً معاك حق ربنا

يهدي

-يهدي إيه بس يا آنسه مش آنسه برده؟

-أيوه

-هما دول بتوع هداية؟ دول هيولعوا في نار جهنم إن شاء الله

تعجبت له كثيرًا، لماذا كل هذا الحقد وهو وأمثاله من يشجعونهم على هذا بمشاهدتهم من الأصل!

يظل القرد يرقص على التصفيق!

فأكمل حديثه: تعرفي لو البنات كلها زيك كده تلبس وتداري جسمها كان العالم اتصلح

إلتفتت نحوه بتعجب لتسأله: يعني حضرتك شايف إن لبس البنات هو المشكلة؟

رد بثقة: طبعًا، الشباب غلابه مش عارفين يتجوزوا ويعفوا نفسهم وتلاقي البت من دول لبسها زي الزفت ولا ماشية بشعرها حقهم يعملوا كده

-يعني لو بنتك محجبة وملتزمه وحد اتحرش بيها هتعمل ايه؟

هتف مستنكرًا: دا مبيحصلش فعلاً عشان هي لبسها محترم وأنا أب غيور مش ديوث زي باقي الأبهات

-أنت تعرف يعني ايه ديوث؟

أجابها بثقة حسدته عليها قائلاً: الراجل اللي بينزل بناته بالشكل دا

طبعًا

-لا، الديوث هو اللي بيعرض مراته أو أهل بيته للجنس والدعارة مش أكتر ولا أقل من كده

بُهت من حديثها وكعادة الجاهل عندما تنير له ظلمته يتهمك أنت بها حتى لا يعترف بخطأه وكأنه لو اعترف ستهبط السموات على الأرض!

-آه انتي بقى من بتوع التحرش بسبب الشباب؟

نعم هي كانت ترى ذلك، كل مبررات التحرش تقول أن الملابس هي السبب!

ماذا عن المنتقبة؟ والمختمرة؟ والمحجبة؟ بمقياس المجتمع أنهم محترمات؟ ماذا عن أختها التي لم تفعل شيئًا حتى يغتصبها!

الأمر جاء بغض البصر مهما كانت الإغراءات ولا مبرر أبدًا للتعدي ومن يبرر ذلك فهو متعدي بشكل ما، مثلما ترى هذا السائق، الذي قررت مجاراته أكثر فأكثر قائلة:

لا طبعا الشباب فعلاً غلبان، بس أنا سمعت عن بنت قريب اغتصبها واحد رغم إنها كانت دكتوره ولبسها محتشم

-يا آنسه يا آنسه متصدقيش دا بس كلام بتقوله الصحافة عشان ترمي التهمة على الرجالة الغلبانة، هو فيه بنت محترمة حد هيغتصبها برده؟ أكيد سهلت له الطريق

ابتلعت ريقها ومعها اشمئزازها الذي أصبح واضحًا على وجهها

الآن، كانت رأت تعليقات وتبريرات تلقي اللوم على أختها ولكن بهذه الطريقة؟ لا لم يحدث، قررت الصمت مؤقتًا لكنه لم يصمت استفزها أكثر قائلاً: المهم هنصحك نصيحة لو تتقبليها يعني؟

-طبعًا اتفضل

إلتفت نحوها وتفحصها بنظرات جريئة ارتعد لها جسدها ثم قال: انتي محجبة وكل حاجه بس لازم تغطي نفسك عن كده والأحسن تنتقبي أصل وشك فتنة برده

أومأت برأسها ثم قالت: معاك حق

رفعت رأسها نحو الطريق، كانت اقتربت من النقطة التي عندها يغير وجهته نحو الصحراء، لكنها عرفت أنه لن يفعل فقالت له: ادخل من اليوترن الجاي دا بعد إذنك

لف بالسيارة ثم قال متسائلاً: بس دا مش الطريق اللي طلبتيه

-منا غيرت رأيي هنروح للمول بس من الناحية التانية

ضحك وقال بسماجة: كده بقى الأجرة هتزيد

-ولا يهمك هدفعلك اللي انت عايزه

لمعت عيناه ودخل نحو الطريق النائي أكثر، وقبل أن يخرجوا منه نحو " المول " أخبرته أن يتوقف هُنا!

أوقف السيارة وإلتفت إليها متعجبًا: هتنزلي هنا؟ الطريق دا بيودي على الصحرا

تجاهلت سؤاله ولم تجيبه فقط سألته على أجرته، أجابها غير مقتنعًا بما يحدث بالرقم الذي يريده، ابتسمت له ورفعت حقيبتها إليها، وبدلاً من أن تخرج نقود سحبت سكينها الجديد لكي تطعنه به

ولكنه فاجئها برد فعل تلقائي، رفع ذراعيه يحمي نفسه من الطعنه التي كانت متجهه نحو بطنه كما اعتادت، فأصابت ذراعه إصابة صرخ لها قائلاً: انتي بتعملي ايه يا بنت الـ...!

وقبل أن ترفع يديها مرة أخرى أمسك بها، كان قويًا وضخمًا لدرجة أنه تحكم بها بيد واحدة منه فقط!

حاولت التحرر من قبضته لكنها لم تستطع، مالت بجسدها عليه أكثر وغرست أسنانها فيه بكل غل داخلها، حتى صرخ من الألم وتركها من قبضته، عاجلته بضربة بين ساقه لتشل حركة جسده مؤقتًا، سحبت السكين مرة أخرى وطعنته في ساقه أولاً ثم سحبتها وطعنته في منتصف بطنه قائلة: دي عشان أختي اللي غلطت فيها بجهلك

سحبت السكين واعادتها ثانيًا: ودي عشان البنات اللي ظلمتهم واتهمتهم بالباطل

والمرة الثالثة كانت الطعنه في قلبه: ودي عشان اللي زيك مش لازم يعيشوا ويملوا المجتمع بجهل وغباء

كانت الضربة قاضية ونهائية شهق لها شهقة أخيرة وجحظت عيناه ليسلم نفسه لملك الموت!

سحبت السكين ثم جلست لتلتقط أنفاسها، هذه المرة أحست بتعب شديد، خاصة من مفاجأة دفاعه عن نفسه، وضغطها النفسي أثناء حديثه الذي تمنت وأن تقطع له لسانه حتى لا يكمله!

التفتت نحوه، لازالت دماءه تسيل، ارادت أن تطعنه عدة طعنات أخرى لعلها تهدأ من حديثه، لكن ماذا يُؤلم الشاة بعد ذبحها؟!

خرجت من سيارته بعد أن أخفت كل بصمات ممكن أن تكون خرجت منها ثم غادرت.

*****

عادت إلى شقتها، وقفت أمام منضدة السكاكين لتضع السكين الثالث بنفس مطمئنه لوصولها لعدد فردي كما أرادت، دخلت مباشرة تحت الماء الدافئ لكي تطهر نفسها من نجس دماء هذا الشخص، أغمضت عينيها لتنساب كلماته المقززه في أذنها، رفعت يدها ووضعتها على رأسها لعلها توقف هدير الكلام المنهمر مع الماء، تغيير بسيط سيحدث في خطتها، هي لن تقتل من يتحرش أو يغتصب فقط، لكنها ستبحث عن كل ذكر يتبنى تلك الأفكار، لولا وجودهم وتبريرهم الحقير لما وُجد المغتصبون من الأساس!

يجب أن يبدأ التطهير من الفكرة وليس الفعل والنتيجة، صاحب تلك الأفكار هو الفاعل في الأساس، لو أتيحت الفرصة لذلك المُبرر سيتحول هو الآخر لمغتصب!

إنها دائرة يجب عليها كسرها، حتى تثأر لأختها ومن مثلها من المغتصبات، وتحمي جيل جديد من الفتيات.

أنهت حمامها ثم خرجت لتتناول وجبه بسيطة ثم دخلت إلى فراشها وأمسكت بـ " اللاب توب " الخاص بها وقررت مشاهدة " فيديو " لفنون الدفاع عن النفس لتكتشف طريقة سهلة في شل حركة فريستها حتى لا يتكرر الذي حدث معها اليوم!

*****

وضعت السكين الرابع بجوار أصحابه، هذه المرة كانت سهلة أو أصبحت هي من استسهلت القتل!

هُناك متعة خفية أن تكون سبب قبض روحٍ مفسدة في الأرض!

وأي فساد؟ و أي ظلم؟ التعدي لأجل التعدي؟ التعدي لأجل شهوة وصلت لدناءه الشهوة الحيوانية بدون ضبط بدون ربط أو سيطرة

هذه المرة تفننت في قتله خاصًة عندما سالت لها لعابه بدون أي مجهود منها أو أي إغراء يُذكر حتى لم تناقشه في شيء، لقد نفذ أفكاره على أرض الواقع فتركت جثته لوحة فنية تسيل منها الدماء!

*****

استيقظت من نومها على صوت رنين هاتفها، رفعته إليها ببطء ثم أجابت بدون معرفة المتصل، لا أحد سواه يسأل ويطمئن عليها، أو بالحق لا أحد سواه معه هذا الرقم، استقبلها بعتاب على غيابها ثم

اطمئن على أحوالها وأخبرها أنهم ينتظرون عودتها ويفتقدونها كثيرًا، مما جعل الإبتسامة الصافيه تشق شفتيها منذ فترة، أحست أن هناك شيء يخفيه عنها وبعد الضغط أخبرها أن هُناك مُحضر من المحكمة آتى ليخبرهم بقضية جديدة رفعها أقربائها، ضحكت وأخبرته أنها لا تهتم الآن، كانت ممتنة جدًا لشخص يحاول بشتى الطرق أن يدعمها ويحافظ على مشاعرها مثل " إيهاب "، أنهت المكالمة وعادت برأسها على فراشها تفكر، ماذا أقوى من الموت واعظ للإنسان؟ أقوى من المصيبة المفاجأة والقتل والحرق حتى يتعظ؟

لا زالت عماتها ترفع قضايا لتغتصب حق ليس حقها، هم لا يريدون حقهم في ميراث والدها لا، أيضًا في جزء والدتها، ماذا تفعل بهم أكثر من ذلك لكي يتقوا الله ويخافون نفس المصير!

ستنهي ما تفعله أولاً ثم ترى ماذا يمكنها صنعه معهم.

*****

السكين التاسعة!

وضعتها في نهاية المنضدة التي امتلأت بهم، هذه المرة كانت رائعة، كانت منتشية جدًا وكأنها دخنت مخدر لتوها، أصبح القتل إدمانها، هو وحده من يحفز " الإندروفين " بداخلها، لا يحفز بعلاقة عاطفية أو بطعام مفضل، موسيقى رائعة، كل ذلك لا يؤثر أصبحت السعادة والنشوه لديها مرهونه بقتل أحد الذكور، خاصة بعدما أصبحت متمكنه في القتل بشكل كبير، أكملت لوحتها الدموية بتقطيع عضوه التناسلي، أليس ذلك هو السبب؟ يضايقك ويحفزك على التعدي؟ نقطعه لك ونزين به جثتك!

كانت تتمنى لو تفعل ذلك وهو حي لكي يشعر جيدًا بما يحدث عندما يرغم ويغتصب أنثى لا تريد، الألم قاتل فليجربه، لكن المكان يقيد من حركتها وأفكارها الإبداعية في القتل للأسف!

*****

جلس على مكتبه وأمامه سبع ملفات لضحايا مختلفين، لكن كلهم اشتركوا في شيء غريب، كلهم ذكور بأعمار مختلفة لكن يعملون بمهنه واحدة " سائق أجرة "!

وكلهم قتلوا في محيط نفس المكان، جثة في الشرق، جثة في الغرب، جثة في المنتصف لكنها نفس منطقه بداية الطريق الصحراوي

منذ أن سمع عن الجريمة الرابعة من أحد أصدقائه الضباط في قسم آخر والتي كانت الجريمة الثانية التي تقع تحت يد صديقه وهو قرر أن يبحث في اقسام أخرى محيطة ليتفاجئ بالعدد واشتراكهم جميعًا في تلك النقط!

قرأ تقارير الطب الشرعي ليلاحظ أن طرق القتل تتطور من ضحية لأخرى، لكنهم كلهم اشتركوا في الطعن بمنتصف البطن، زاد جثة بذبح للرقبة وجثث أخرى تم تقطيع أجزاءها ووضعها بنفس الطريقة وكأن القاتل يزين بها ضحيته!

لا يستطيع منع نفسه من التفكير أن القاتل واحد في كل تلك الجرائم، بالتتبع والتحليل القاتل واحد

لكن لماذا!

السبب بعيد عن السرقة، سياراتهم موجودة ما عدا ضحية واحدة هواتفهم وأموالهم الخاصة وإيراد اليوم كل ذلك في مكانه لم يمسه ما الدافع؟ هل هو الانتقام؟ لكن لماذا الانتقام من سائقين سيارات الأجرة فقط!

أم أنهم أمام قاتل متسلسل مهوس بالقتل!

فتح الملفات مرة أخرى ليقرأ أقوال الأهل والأقارب حتى أن دائرة

البحث تضمنت الجيران والمحيطين بالضحية

لا شيء يستحق الانتقام!

كلهم يشهد لهم بالاحترام ومحبه الناس حتى مع اختلاف أعمارهم

ما بين الشباب والكهولة الأراء واحدة والأقوال نفسها

إذًا لماذا!

سمع طرقات على باب مكتبه، أذن للطارق بالدخول كان العسكري يخبره بأنهم تم إبلاغهم بقضية قتل وعليهم التحرك نحو المكان

ازدادت نبضات قلبه، يبدو أنه على طريق اكتشاف ضحية جديدة، كانت كل القضايا السابقة بعيده عن قسمهم، يبدو أن القدر يدفعه بالفعل نحو كشف ما يحدث

تحركت القوة نحو المكان ومعهم رجال البحث الجنائي، كما توقع هو نفس المكان ونفس التفاصيل، وقف بعيدًا عن مأموريه حتى ينتهي من حالة القيء المفاجئ التي اقتحمته بعدما شاهد الجثة وبشاعة المنظر!

كان باب السيارة مفتوح وجسده يطل خارجها برقبه مذبوحه

تحتها بركة من الدماء، اقترب أكثر مع رجاله ليروا عضوه المقطع والذي وضع فوق شق كبير في بطنه،

قراءة التقرير شيء والمعاينة بنفسه شيء آخر، لم يأت حتى في أسوء خيالاته أن المنظر بتلك البشاعه والدموية

هو قاتل متسلسل بالفعل، قاتل دموي مهووس، الضحية بالتأكيد

ستموت من الطعنة الأولى أو الثانية لكن كل هذا لا يدل على شيء سوى أنه مهووس!

لف في المكان بنفسه ليرى ولو دليل واحد على القاتل، حتى الصحراء تتضامن مع القاتل، الرمال هُنا خفيفة وتخفي بصمات الأقدام بسهولة مع الهواء القوي في المكان.

تركهم ليرفعوا كل شيء في المكان وجلس وحيدًا يفكر في الرابط بين كل هؤلاء الضحايا.

وأول خطوة اتخذها، أمر رجاله بعمل كمين في المكان وتفتيش واستجواب من يقترب من هذا المكان!

عاد إلى مكتبه، يكاد عقله ينفجر من فرط التفكير، لا بصمات لا خطأ يمكن أن يصبح بداية للخيط

إنه أمام قاتل محترف يعرف ما يفعله جيدًا

كيف سيصل إليه بإمكانيات القسم الضعيفة والتي لا توفر كل التكنولوجيا الحديثة في الكشف عن الجرائم، أسهل ما يمكنهم فعله قيد القضية ضد مجهول لعدم ثبوت الأدلة

أو تكون أنت ذو ذكاء وخبره وتقرر تكمله الطريق بمفردك حتى تصل، ويبدو أن هذا ما سيفعله في الفترة القادمة!

*****

كعادتها في الصباح تستقل سيارتها وتبقيها في مكان قريب لكي تعود بها بعد أن تنهي مهمتها، وقبل أن تصل إلى النقطة المحددة وجدت بعض العساكر وكمين مجهز للشرطة أمامها!

تعجبت كثيرًا ولكنها كان عليها تكملة الطريق حتى لا تثير الشكوك دخلت بالسيارة حتى وصلت أمامهم، كانت ترتدي نظارة شمس كبيرة تخفي نصف وجهها وأكملت الأمر بأن أنزل خصلات من شعرها تخفي ما تبقى، وقف العسكري أمامها لتتصنع التيه قائلة: لو سمحت هو مش دا طريق مول " .. "

هز العسكري رأسه نافيًا: لا يا فندم انتي كده ماشية العكس، لفي وامشي على طول

-متشكرة جدًا بس هو دا مكان عسكري ولا إيه؟

التفت العسكري حوله وبصوت هامس كأنه سيخبرها سر حربي: لا دا كمين عشان فيه حوادث قتل كتير بتحصل الأيام دي هنا، خلي بالك ومتوهيش هنا تاني!

شكرته ثم انطلقت في الاتجاه المعاكس، كان من المتوقع أن تكتشف الشرطة ذلك ولكن بهذه السرعة؟ منذ متى تعاونت شرطة بلدها

في شيء، عليها تغيير المكان والخطة بالكامل حتى تستطيع تكمله ما بدأته!

وقفت تراقب الجزء المفضل لها في الشقة، منضدة السكاكين، بغضب داخلي من فشل خطتها اليومية، ويبدو فشل كل خططها القادمة، جلست على الأريكة الوحيدة بالشقة تفكر ماذا تفعل، لقد كُشف المكان ولا تستطيع المخاطرة بالتواجد هناك مرة أخرى، كان هذا المكان دون عن غيره هو مسرح تنفيذ العدل، منضدة الإعدام لمغتصب محتمل، العقاب الأمثل لهم، أن تذيقهم من نفس الكأس الذي تجرعته أختها، أحست بإحباط وغضب شديد لكنها لن تستلم، أمسكت بهاتفها واختارت الخريطة الإلكترونية لمدينتها لتختار مكان جديد ومناسب.

مرت ساعة كاملة تراقب فيها الخريطة، كلما استقرت على مكان يظهر لها فيه شيء يوقفها عن ذلك، الأماكن الهادئه كانت بالقرب من بيتها وبالطبع لن تستطيع الظهور هناك أو بالقرب من هذه الشقة ولا تريد كشف هويتها بأي شكل.

الخَيار الوحيد أمامها هي المدينة التي تليهم، جديدة وأكبر في المساحة ومعظمها صحراء وقريبه منها أيضًا، كانت تريد قتل رجال مدينتها فقط لعلها تصادف مغتصب أختها وتأثر لها، لكن لا فرق بين رجُل هُنا أو هُناك كلهم نفس المجتمع كلهم مغتصبون محتملون!

*****

ارتشف آخر رشفة من كوب القهوة الخامس حتى الآن، يكاد قلبه يخرج من جسده ليترجاه بأن يكف عن مده بالكافيين!

أشعل سيجارًا سحب عدة أنفاس، ثم وجه السؤال مرة أخرى لصديقه الجالس معه:

-تفتكر يا مسعد إيه اللي يخلي حد ينتقم بالبشاعه دي من حد؟ وليه كل دول في وقت قليل!

أجابه مسعد قائلاً: دا على افتراض إن القاتل شخص واحد صح؟

تحدث سمير بسرعة وثقة:

- أكيد، اومال كل الحوادث دي هتحصل في نفس المكان وأوقات متقاربه بأداه واحدة من كذا قاتل!

-مش عايزين نبعد ولا أي احتمال

ثم أمسك مسعد بورقة وقلم يدون فيها أول احتمال وأكمل قائلاً: خلاص هنستبعد إن القتل بهدف السرقة وإنه بعيد حتى عن تجارة الأعضاء والخطف

هز سمير رأسه من وسط الدخان الذي أطلقه لتوه ثم قال

-أنا محيرني سبب الانتقام بس لو عرفته هقدر أوصل للقاتل

ساد الصمت لدقائق حتى لمعت فكرة في رأسه ليقول سمير

-أهم عامل مشترك بين الضحايا إن كلهم رجالة يبقى القاتل ست

استنكر مسعد تحليله قائلاً: ست! وتعمل كل دا وتقتل رجالة بالشكل البشع دا؟ احتمال مستبعد طبعًا

-ليه لا؟ إيه هيخلي راجل يقتل راجل من غير سبب سرقة أو تار أو أي سبب تاني

قاطعه مسعد: وإيه يخلي ست تقتل راجل بالعنف دا؟

تراجع سمير في مقعده ثم قال: لا أسباب الستات كتير، الغريب هنا إن الرجاله دول مش قرايب أو في بينهم شيء مشترك يخلي ست واحدة تقتلهم

-أنا بصراحة مش مقتنع بالاحتمال دا

-لكن أنا مش بستبعده ليه لا؟! توقع أي حاجه في القضية دي!

*****

كانت المدينة التي وقع اختيارها عليها ساحليه، لذلك تأجير شقة بها كان سهلاً جدًا خاصًة أنهم في الربيع وتأجير شقق تطل مباشرًا على البحر ليس كثيرًا، وقفت في الشرفة تراقب البحر المتدرج بدرجات اللون الأزرق، لونها المفضل، كان البحر هادئ على غير العادة في مثل هذا الوقت، تمنت كثيرًا أن تكون هادئه مثله، آخر مرة قرروا زيارة مدينة ساحلية كان مع أختها الراحلة، الرحلة التي انقلبت على رأسها زادت ضربات قلبها لتلك الذكرى الحزينة التي لن تنساها أبدًا لو أكملت في هذه الحياه، انكمشت قليلاً مع ظهور تيار هواء بارد فقررت الدخول وتجهيز الخطة القادمة

يجب أن تقتل عدد أكبر في وقت أقل حتى إذا ما اكتشفوها في هذه المدينة تكون حققت الكثير قبل أن تغادرها مثل مدينتها!

رفعت هاتفها إليها لتعرف الوقت، لا تزال في منتصف اليوم، ستخرج لتناول الطعام وتكتشف المدينة والطرق المتاحة فيها.

دخلت إلى مطعم قريب لها وجدته بالصدفة، تناولت طعام بحري تحبه كثيرًا مما حرك بداخلها طاقة تكمل بها ما بدأته، غادرت وأخذت جولة واسعة في المدينة كلها وقفت وحددت النقطة المنشودة

التي ستترك عندها سياراتها وتنفذ ضربتها فيها

حل الليل وعادت إلى نفس عنوان شقتها، تركت السيارة تحت البناية ثم قررت التمشي قليلاً على الشاطيء الخالي الآن من الناس وهو الشعور المناقض لها تمامًا!

دائمًا ما كانت تخاف من الهدوء وتخشى البحر ليلاً، ذلك الذي تقف أمامه الآن

تغلبت على كل مخاوفها، السكين، الدم، الظلام، الوحدة وأخيرًا البحر ليلاً

لكن بلا هدف ولا فائدة، ليس لها من تخبره أنها أخيرًا تغلبت على المخاوف، عاش أبيها يحفزها ويحمسها لذلك ولكنه مات قبل أن يحققه فيها، حتى أختها التي كانت تساندها لتأخذ خطوة نحو ذلك ماتت معه، لمن تقول الآن وتحتفل؟!

انتفضت من شرودها على صوت آتى من خلفها

" الجميل واقف لوحده كده ليه؟! "

إلتفتت نحوها بنظرات غاضبة لم تؤثر فيه بشيء بل تجرأ أكثر واقترب منها:- الدنيا ليل والجو برد ما تيجي أدفيك يا جميل

قررت ولأول مرة تحذير أحدٍ فقالت له: أنا شايفه إنك تبعد أحسنلك

-لا لا دا شكل الجميل متوحش بقى طب ما تيجي نجرب ولو معجبتكيش امشي

-لآخر مره ابعد عني!

لكنه لم يستجب لتحذيرها، بل اقترب حتى وقف أمامها تمامًا وأمسك بذراعها! وعند هذه اللحظة لم تشعر بنفسها إلا وقد رفعت ساقها موجهة له ضربة قاسية في المنطقة الحساسة عند الرجال، حركة مجدية جدًا في مثل هذه المواقف، صرخ بشدة ونزل بمنتصف جسده يتلوى، استغلت الفرصة وسحبت سكين من حقيبتها الذي أصبح لا يغادرها أبدًا، ثم طعنته في ظهره المواجه لها، شهق من شدة الألم ومن بين صرخاته قال:

-خلاص.. سيبيني.. أنا..آسف

لكنها لم تستجب له، لقد حذرته مسبقًا ولكنه تمادى، لم يكن لها مزاج لقتل أحدٍ الآن، لكنه اختار قدره بنفسه، أكملت عليه طعنات حتى خرجت روحه النجسه تمامًا، إلتفتت حولها لا أحدٍ، لم تكن تريد كشف خطتها مبكرًا، قررت سحب جثته داخل رمال الشاطيء حتى وصلت إلى المياه وألقته فيها ووقفت تراقب الموج وهو يحمله ليبتلعه الظلام ومن بعده البحر!

غادرت ثم عادت للشقة، تلاحقها صرخاته وتوسله، تتردد في رأسها، يتوسل لها أن تتركه ماذا لو كان العكس؟ كانت هي الطرف الأضعف هل كان سيتركها؟ هل ترك المغتصب أختها رغم توسلاتها التي صدرت عنها بالتأكيد؟ لا

إنه العدل فقط هي تطبق العدل!

*****

مر أسبوع على وجودها هُنا، كان الرجال أسهل كثيرًا وأكثر تحرشًا وتعدي عليها، خاصةً بإستغلالهم أنها فتاه وحيدة في بلد شبه مهجورة في هذا الوقت من السنة، لقد سهل هذا المنطق عليها كثيرًا، لكن للأسف لقد زاد منها العدد كثيرًا حتى أن الشرطة اكتشفت وبدأت في بحث موسع، ستختفي من هُنا أيضًا لترى مكان جديد

بدأت تجهز في ملابسها حتى تغادر في الصباح الباكر، انتهت ودخلت نحو الفراش، أمسكت بهاتفها تتفقد الأخبار كعادتها في الفترة الأخيرة لتجد اسمه مكرر في كل العناوين

"سمير عثمان" الضابط الذي تولى كل قضايا القتل في مدينتها وتصريحاته وشكوكه حول أن القاتل واحد، ابتسمت لذكاء الشرطة الواضح، بالطبع القاتل واحد لقد حافظت على طريقة معينة ورجال محددة ماذا سيكون غير ذلك!

أغلقت الخبر وتركت هاتفها لتنام وهي واثقة أن أمامهم سنين حتى يصلوا لها!

*****

مدينة جديدة، وقع اختياراها هذه المرة على عاصمة المحافظة التي كانت لا تبعتد عن مدينتها الأصلية كثيرًا، اختارتها لكبر مساحتها وازدحامها في المنتصف لكن على أطراف المدينة كانت نائيه شبه خالية من السكان، وبسبب الازدحام يتواجد الصيد الثمين المنشود بالنسبة لها " سائقي سيارات الأجرة"

هذه المرة واجهت صعوبة في توفير شقة جديدة لها، بسبب رفض معظم الرجال لمنحها شقة وهي فتاه وحيدة، من يضمن لهم ماذا تفعل بها؟، ماذا لو كانت رجل هل كانوا سيسألوا هذا السؤال؟ إلا لو الأفعال المنافيه للآداب قد خلقت للنساء فقط!

وأخيرًا وجدت شقة ولم يوافق الرجل إلا بزيادة عقد الإيجار المؤقت للضعفين، يستعد الناس بالتنازل عن حماية أخلاق والنهي عن المنكر في المجتمع طالما ستدفع أكثر!

دخلت إلى الشقة والتي كانت مجهزة وأكثر أريحية من التي سبقتها، استقبلت الماء الدافئ ووقفت تفكر في خطتها القادمة خاصًة أن المكان جديد وفي الغالب سيكون أصعب في التنفيذ

خرجت ثم أمسكت بحقيبتها والتي كانت مليئة بالسكاكين التي فقدت

عدها الآن، لتجد أن ليس هناك سكين جديد للمهمة، قررت النزول لأحد محال الأدوات المنزلية وشراء سكاكين جديدة من أماكن مختلفة فالعدد كبير ويمكن أن يثير الشك، كانت تريد أن يكون سكين بارد حيث يعذب من تطعنهم بالتقطيع والموت بالبطئ لكن للأسف هذا هو المتوفر الآن!

وصل إلى المدينة المجاورة لهم بعد دعوة صديقه الضابط له، دخل إلى مكتبه وبعد التحية والمحادثات الودية أخرج " صالح " عدة أوراق في ملفات ثم وضعها أمام "سمير" ليقرأ ما فيها، عشر ملفات بعشر ضحايا جدد!

حتى تلك المدينة الهادئه لم تسلم من القتل، نعم معه حق فالقاتل شخص واحد فقط، عندما انتشرت الجريمة هُنا اختفت في مدينته، القاتل انتقل لها، لكن لماذا؟!

هل ضيق عليه الخناق ليبتعد هكذا؟

تركه صالح يقرأ ويفكر كثيرًا حتى بدأ الحديث معه قائلاً: إيه تحليلك لكل العدد دا من قتل للرجاله؟

-القاتل واحدة ست خلاص مفيش جدال

-دا نفس شكي، لكن ليه؟!

جلس سمير ورفع يديه على رأسه كأنه يمررها داخل أفكاره: ما دا اللي هيجنني، دا اللي مش قادر أوصله أبدًا، ولا دليل واحد ليها ازاي

معرفش!

قال جملته وكاد أن يشد في شعر رأسه من التفكير والصدمة

تحدث له صالح مهدئًا: احنا لازم نهدى عشان نعرف نقرر الخطوة الجاية صح ونعرف إزاي هنوقعها في شر اعمالها!

*****

انتهى اليوم الثاني عشر لها في تلك المدينة وتسجيل جثة رقم خمسة فقط!

لقد أصبح الرجال أكثر حرصًا على أنفسهم، صاروا يرفضوا توصيلها لأي مكان بعيد، انتشار أخبار قتل سائقي الأجرة قد آتى بثماره، زرعت فحصدت مضايقات لها، رمت بالسكين ودخلت تحت الماء تنظف نفسها من الدماء، الرجل الأخير سحب منها مجهود كبير حتى قتلته، والأهم من المجهود هو الطاقة، بعد أول طعنة صار يترجاها كثيرًا بأن تتركه، لديه زوجة وأولاد!

الغبي يظن أن ذلك سيوقفها عن قتله!

ما حجتك الآن؟ لديك زوجة إذًا أنت بعيد كل البعد عن الكبت

لديك اولاد؟ كان من باب أولى أن تخاف عليها وتضعها مكان أولادك

أم أن الخوف والحذر لأولادك والبقية تستبيح عرضهم؟!

لقد صنعت جميلاً كبيرًا لعائلته بأن تخلصهم من ذلك القذر ليعيشوا برؤوس مرفوعة وسط الناس بدلاً من أن ينكسها يومًا ما بتحرشاته

وتجرأه على الفتيات.

خرجت لتجلس على الأريكة الموجودة بالصالة وأمامها منضدة صغيرة، أمسكت بحقيبتها فتحتها ببطء ثم رمت بكل السكاكين الموجودة بها على المنضدة التي لم تتسع لكل هذا العدد فوقع منها على الأرض

وبعينيها جلست تحصي عددهم والذي اقترب من الثلاثين سكينًا!

ثلاثين روحًا قد أرسلت إلى الجحيم بيدها!

لكن لماذا لم تشعر بنشوة الانتصار الكاملة التي أرادتها الآن!

لم تشعر سوى بدموعها الساخنة تنهمر لأول مرة منذ وفاه والديها، تنهمر لماذا لا تعرف لكنها لا تستطيع السيطرة عليها أو على شهقاتها التي تبعتها، هي لم يأتِ ولو في أسوء خيالاتها أنها ستصبح قاتلة ولو لحيوان مسعور حتى، نعم كانت تريد الثأر لأختها ولمن مثلها من الفتيات، لكنها تعبت، كل قتيل يأخذ جزء من روحها حتى أنها الآن تشعر بخواءٍ كبير

ستقضي عمرها كله تقتل ولن يتوقف الرجال عن التحرش، الإغتصاب والإعتداء والتعنيف بكل صوره، لن يتوقف الرجال عن استباحه الأعراض لمجرد شهوة حيوانية تتحكم بهم، لن يتوقفوا طالما المجتمع معهم ويبرر لهم خطيئتهم بأن المشكلة في الفتيات وليست فيهم، بأن التحرش واجب لكل فتاه خرجت أو لم تخرج عن معايرهم، لن يتوقفوا

ولن يملوا عن الفعل وتبريره، كلما أظهرت لهم خطأ في تبرير يسرعون إلى الأخر وكأن الخطأ أنثى والطهر رجل!

التدين والإحتشام فقط خلق للأنثى أما مراقبة تطبيقه ومعاقبه من تخرج عنه بالطبع للرجل!

لن يتوقفوا وهي لن تتوقف ولكن ماذا بعد؟ هل ستقضي ما تبقى من عمرها تخطط وتقرر وتقتل؟ هل جاءت إلى هذه الحياة لتعيش متخفية في الظلال يأكل فيها الانتقام والثأر، يقتل فيها الخوف أن تكشف والوسواس الذي يجعلها تتأكد من كل شيء لا يحمل بصمات أو أجزاء منها قد تكشفها!

لابد من حل آخر، حل يجعل المجتمع ينتبه ويفيق لما يحدث، حل يخبرهم أنهم في الاتجاه الخاطئ، يجعلهم يضعون قوانين صارمه رادعه من أجل الحد من كل ذلك، كم قتلت ثلاثون؟ من بينهم عشر رجال فقط رفضوا وتمسكوا بإنسانيتهم ودينهم؟

هي فقط رأت هذا العدد ماذا عن الفتيات التي تموت والتي تنجو لكنها تخاف من التحدث خشية من الفضيحة!

النسبه قاتله!

مسحت دموعها وأغمضت عينيها مفكرة في الخطوة القادمة

التي تراودها الآن ويبدو أن لا حل لها سواها!

*****

جلس في مكتبه كعادته في الفترة الأخيرة، يراقب كل الأحداث الجديدة، حتى أنه لم يذهب لبيته منذ فترة إلا أوقات قليلة، العدد يتزايد ولا يقف على الرغم من الأخبار المنتشرة في الصحف ومواقع التواصل الاجتماعي عن كشف كل تلك القضايا والقضية الآن تقع تحت بند قضية رأي عام، كل ذلك لم يثير الرعب في نفسية هذا القاتل، كل ذلك أكد له أنها نفسية مريضة مهووسه يدفعها خلل نفسي وليس فقط انتقام، قرر أخذ خطوة كبيرة وعمل اجتماع لكل ضباط المدن التي حدث فيها القتل، عقول كثيرة أفضل من عقل واحد يفكر. الاجتماع في الغد لذلك جلس يعد كل شيء عن القضية وكل الاحتمالات والتحليلات التي توصل إليها حتى الآن

ما يثير جنونه أنه لا دليل واحد على القاتل، كل شيء منظم حتى الجثث الأخيرة أصبح تقطيعها مثل تقطيع طباخ ماهر للحم!

كيف ذلك؟ لقد درس كثيرًا أنه ليس هناك جريمة كاملة، هناك دائمًا خطأ واحد يسحب الخيط نحو القاتل، مهما طال سيصل إليه، نعم في بلده لا تهتم الشرطة بالبحث في القضايا العادية كثيرًا والتقييد ضد مجهول هو الاختيار المحبب لهم لكن الآن هم ليسوا أمام قضية

صغيرة، إنها قضية العمر ولابد من الوصول فيها لحل وإلا ستنتشر الجريمة كالنار ولن يستطيع أحد السيطرة على القادم أبدًا!

خرج من أفكاره على صوت طرقات رغم أنه أكد على العسكري بأن يتعامل كأنه ليس هُنا ولكن الغباء سيد الموقف، سمح له بالدخول وفي نيته أن يجازيه على دخوله مهما كان السبب!

ألقى العسكري التحية ثم وقف أمامه ليقول: يا فندم فيه بنت بره عايزه حضرتك ضروري

هتف به قائلاً:

- بنت مين! وهو أنا مش قولتلك متدخلش عليا مهما حصل

ارتعب العسكري من عصبيته التي يعرف جيدًا انها ستصيبه بخصم قادم لكن ليس أمامه سوى هذا الحل

-يا فندم بتقول إنك مستينها وضروري معرفتش اتصرف

تعجب سمير وردد نفس الكلمة: مستينها؟ أنا مش مستني حد، طيب دخلها خلينا نشوف في ايه

خرج العسكري ومرت ثوان حتى دخل مرة أخرى وخلفه فتاه لم يراها ابدًا في حياتها قبل ذلك!

دخلت ومعها حقيبة سفر وضعتها أمامها ثم اقتربت الفتاه وبهدوء شديد جلست على الكرسي أمامه حتى قبل أن يأذن لها بالجلوس

كاد أن يعترض ولكنها أوقفته قائله: أنت مستنيني وأنا جاية بنفسي

عشانك

-انتي مين! أنا معرفكيش

لفت رأسها نحو العسكري ثم نحوه قائلة: هقولك أنا مين لكن لما يخرج، محتاجه نكون لوحدنا

لم يرفض فقط قاده فضوله إلى أن يقبل ويصرف العسكري لتجلس أمامه بمفردها، شملها بنظراته لكي يحثها على الحديث

سحبت نفسًا وأخرجته كأنها ستلقي بنفسها في مياه البحر الآن ثم قالت: أنا اللي بتدور عليها، أنا القاتل المتسلسل اللي نفسك تعرفه

ذهول؟ هل يوجد كلمة أقوى من ذهول؟ أصابته الصدمة كصاعقه مفاجئه من السماء، حرك رأسه وبتلقائيه وضع يده في آذانه يتأكد من أنها إلتقطت الجملة جيدًا

لا مستحيل أن تكون هذه الفتاه البريئة هي نفس القاتله المهووسه التي تقطع وتشق الأجساد!

تركته لدقيقة كاملة حتى يعي ما قالته ثم أكدت عليه مرة أخرى بنفس الجملة ولكنه هذه المرة قاطعها قائلاً: ازاي! بتقولي ايه؟ انتي مستوعبة؟!

-أكيد أنا مش هاجي أعترف على قضية زي دي وأنا مش صاحبتها، أنا اللي خلصت عليهم كلهم، تحب تسمع ولا تجيب حد ياخد أقوالي؟! في الطبيعي عندما يحدث ذلك يستدعي الضابط من يدون الاعترافات

باليوم والتاريخ والساعة بل ويقف عساكر في الغرفة يستعدوا لتأديبه إذا حدث منه شيء، خاصة في قضية مثل هذه، لكن الموقف كله خارج عن الطبيعي والمألوف، قرر تركها تتحدث بدون تدوين وبداخله يؤكد له أنها مجرد فتاه تريد الشهرة على حساب تلك القضية!

أذن لها بالكلام وجلست هي تسرد له كل التفاصيل وكيفية القتل وكيفية استدراج الضحايا!

لم يأت في باله أو خياله أبدًا أن تكون فتاه رقيقة مثلها بهذه الوحشية، تقص عليه كيفية القتل بلذة ونشوه غريبة، كأنها تقص انتصار قد وصلته!

اقشعر جسده نفسه أمام التفاصيل التي تسردها بهدوء مخيف، حتى ظن أنه سيكون ضحيتها الجديدة وتقوم بقتله الآن!

حتى أنه راجع نظراته في نفسه هل تحرش بها مثلهم؟!

لم يستطع التحمل والصمت أكثر من ذلك قاطعها فجأة

-ليه! ليه كل دا؟!

-عشان اغتصب أختي ودول كمان كانوا ممكن يكونوا زيه، لازم الدنيا تنضف منهم لازم يموتوا وياخدوا جزاءهم

-يعني عشان واحد تقتلي كل دا!

-عشان فكرة هتتحول لواقع أقتل كل دا

-القتل مش حل القتل فعل غير انساني بالمرة

-والاغتصاب والتعدي والتحرش كلها أفعال انسانيه عادي؟

-لا! مقولتش كده لكن لهم حلول

ضحكت بصوت مرتفع ساخرة من جملته قائله: دور معايا كده على الحل!

-الحل التوعية، نوعي المجتمع كله ونعمل حملات ضد الاغتصاب

-أنت بتسمي حظيرة الحيوانات اللي عايشين فيها دي مجتمع؟ أنت بتناقض نفسك يا سيادة الضابط المنفذ للعداله

فين العداله لما أختي ماتت؟ فين لما محدش تعب نفسه أكتر في اكتشاف القاتل؟ فين لما الناس وقفت تبرر وترميها بالباطل في شرفها حتى وهي ضحية مغتصبة مقتوله!

مفيش حل وتوعيه في مجتمع فاسد من أساسه

-يعني الحل الوحيد هو القتل؟!

-بالظبط! لو اتقبض على المغتصب مفروض اعدامه فورًا لكن دا مبيحصلش، كان لازم أعمل كده، كان لازم اخد بتار اختي واللي زيها، اوقف ولو جزء منهم، أمحي وجودهم من على الدنيا، ابعتهم ياخدوا جزاءهم عند العادل

قالتها بغل واضح في كل حرف يخرج منها، نظرات غاضبة لم يراها في حياته!

كل حديثها وثقتها بما تفعل يؤكد له بأنها مختله نفسيًا، تلك النفسية

والحديث والافعال لا تخرج سوى من مختل!

راوده سؤال متعجب فقال لها: وليه جيتي تعترفي على نفسك!

ضحكت فزاد تعجبه امامها لكنها لم تتركه كثيرًا وقالت: عشان زهقت، أنت مش متخيل العدد زيادة ازاي وهيحتاج مني مجهود أكبر، دلوقتي القضية هتتعرف حتى لو اتعدمت أنا مش فارق معايا، وأكيد حد من بعدي هياخد الراية ودا الهدف الحقيقي ليا ويمكن يتعظوا ويوقفوا اللي بيعملوه يمكن فعلا لما نضرب المربوط يخاف السايب!

بهت من تفكيرها لم يستطيع الرد أو مجارات حديثها المختل الصدمة تحيط به على الرغم من الاعتراف الكامل بالتفاصيل لكنه لا يزال غير مصدقًا بأن كل تلك الأفعال المختله تخرج من تلك الهادئه أمامه!

-أظن دلوقتي هتكتب أقوالي

ثم انحنت وفتحت الحقيبة التي دخلت بها قائلة: وعشان أسهل الموضوع دي أداة الجريمة الجزء المفضل ليكوا

قالتها وانطلقت ضحكاتها والتي لم تتوقف فقط ترتفع وترتفع أمام نظراته المذهولة!

سيدون أقوالها ويحولها بالطبع للقسم النفسي، لا حاجه لطبيب يؤكد خللها الواضح، وضحكاتها المخيفة التي لا مجال لها في هذا الموقف، بالتأكيد هي مختله ولن تخرج من سجن ٨ غرب والذي وجد خصيصًا لها!

توقفت فجأة عن الضحكات عندما استدعى المختصين، لقد حققت مرادها أخيرًا قتلت من قتلت والآن ستفضحهم أمام عائلاتهم والمجتمع كله والذي كان يظن أنهم مجرد ضحايا، الآن سيعرف الجميع تهمتهم ولماذا قطعت أجزاءهم، الآن فقط انتهت مهمتها لعلها بها تكون أصابت المجتمع الفاسد في مقتل ليفيق عما يفعله ويبرر لها ويتبناه!

تمت بحمد الله